بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة دراسات موصلية

مجلة علمية محكمة

يصدرها مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

هيأة التحرير

رئيس التحرير

أ. د. ذنون يونس الطائي

الأعضاء

- أ.د. حسين ظاهر حمود / قسم الحضارات القديمة/ كلية الآثار.
- أ.م.د. بتول حمدي البستاني/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.م.د. محمد صالح رشيد الحافظ/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الاساسية.
- أ.م.د. ميسون ذنون العبايجي/قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية/مركز دراسات الموصل
- أ. م. د. عروبة جميل محمود/ قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية/ مركز دراسات الموصل.
- أ.م.د. علي احمد محمد العبيدي/ سكرتير التحرير/قسم الدراسات الادبية والتوثيق/ مركز دراسات الموصل.

الهيأة الاستشارية

- أ.د. عماد الدين خليل / أستاذ متمرس/ قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. احمد قاسم الجمعة/ أستاذ متمرس/ قسم التاريخ/ كلية الاداب.
- أ.د. هاشم يحيى الملاح/ أستاذ متمرس/قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. ندى فتاح زيدان العبايجي/ قسم علم النفس/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. طه خضر عبيد/ قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. خشمان حسن علي/ قسم علم النفس/ كلية التربية الاساسية.
- أ.د. نهلة شهاب احمد/ قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية.

الترقيم الدولي ISSN 1815-8854
العدد (٤٦)
السنة / ١٣
١٤٣٩هـ/٢٠١٧م

توجه المراسلات
باسم رئيس التحرير

العنوان
جامعة الموصل
مركز دراسات الموصل
ص.ب: ١١٣٤٨
فانوس: ٠٧٤٨١٧٠٥٩٢٥
E-Mail :
mosul.studies@gmail.com

ترتب البحوث وفق اعتبارات منهجية
تمت الطباعة في
وحدة الحاسبة
في مركز دراسات الموصل

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق ببغداد
٧٢٧ لسنة ٢٠٠١

شروط النشر

١. تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية الأكاديمية التي تهتم بشؤون الموصل في جوانبها المختلفة.

٢. ينبغي أن يكون البحث مستوفياً لشروط البحث العلمي الأكاديمي.في ايراد المصادر والمراجع وتوثيقها في الهوامش مع الاهتمام باللغة والطباعة

٣. أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وان هيئة التحرير غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٤. أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) عشرين صفحة مطبوعة وبثلاث نسخ ومحملة على قرص (CD)

٥. يعرض البحث على خبراء متخصصين الذين يقررون صلاحية نشره من عدمه.

٦. تصدر المجلة بصورة دورية ولصاحب البحث المنشور نسخة مستلة من بحثه.

مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية محكمة يصدرها

مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

- م.د. مها سعيد حميد: الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري ١-١٩
- م.د. محمد نزار الدباغ: بنو الرواد الموصليون ودورهم السياسي في اذربيجان خلال القرنين (٤-٥هـ/١٠-١١م) ٢١-٣٦
- م.د. عمر احمد سعيد: الامارة الحمدانية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين (٣٣٤-٣٨٠هـ/٩٤٥-٩٩٠م) ٣٧-٦٠
- أ.م.د. عروبة جميل محمود: المعتقدات الشائعة في الموصل وبغداد أواخر العهد العثماني حتى سنة ١٩١٨ (دراسة مقارنة) ٦١-٨٢
- أ.م.د. غسان وليد الجوادي: حركة الاسعار في الموصل خلال العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨ ٨٣-١٠١
- أ.م.د. علي احمد محمد العبيدي: سردنة الواقعة التاريخية قراءة في (رواية السيف والكلمة) لعماد الدين خليل ١٠٣-١١٥

الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية
من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري

م.د. مها سعيد حميد*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٥/٧

تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث:

امتازت الحضارة العربية الاسلامية بتطورها في مجالات عدة، وكانت الصناعة في سياق ذلك التطور، وقد انعكس هذا على الوراقة، فظهر الوراقون في مختلف الحواضر الاسلامية وهم الذين اهتموا بالمصاحف والكتب الدينية والأدبية وغيرها، وكانت الموصل من بين تلك الحواضر التي برز فيها الوراقون، ومن خلال البحث والدراسة في أربعة قرون ظهر لدينا عدد ممن عمل في الوراقة من الموصليين أو ممن وفد إليها، وقد توصل البحث إلى ما يزيد عن خمسة عشر شخصية عملت بالوراقة، وما يتعلق بها من نسخ وتجليد وتذهيب وبيع الكتب.

Papermakers in Mosul during the Abbasid Ages
From the fourth until the seventh century

Abstract:

The Arab-Islamic civilization marked by its development in variety of fields, especially the industry, and this reflected on the Craftsmanship of papermaking. Thus, appeared papermakers in every Islamic city, and they interested in Quran, religious books and literary works. Of those cities was Mosul. During our study of a period of four centuries, we found out that there were fifteen Mosulis worked in papermaking, manuscript-copying, book-binding, and embellishing books with gold.

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

المقدمة:

ان ظهور الكتابة لأول مرة كان حداً فاصلاً بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، وقد بدأ العرب يهتمون بالكتابة وأدواتها اهتماماً ينبع عن حاجة منذ عهد الرسول محمد(ﷺ) ومن بعده العصر الراشدي فأن هذا الاهتمام اخذ شكلاً تصاعدياً في العصرين الأموي والعباسي، وكان سبب ذلك نهضتهم العلمية وتطورهم اذ أصبح الاهتمام بالكتابة وأدواتها من مستلزمات النهوض الفكري، وزاد إنتشارها واتسع نطاقها مع ظهور الورق، وقد ساهمت في نشر العلوم والفنون والآداب، وعملت على توسيع رقعة العلم والمعرفة بين الناس، وهناك فئات متعددة من الناس أهتمت بكل ما يتعلق بالوراقة وما يتبعها تتميماً من النُسَّاخ والمُجلدين والمذهبين وتُجار الكُتب، لاسيما ان الشواهد التي عثرنا عليها مما لها صلة بمدينة الموصل كان البعض منهم قد جمع الاختصاصات المتقدمة آنفاً والتي تدخل في عمل الوراق بصفة خاصة، ولها علاقة مباشرة بنسخ الكتب وإعدادها وتجليدها ثم بيعها.

وقد ركزت هذه الدراسة على هذه الفئات بحكم احتكاكهم اليومي بالعلماء وطلاب العلم،وتناول البحث فقرات عدة ابتدءاًبالتعريف بالورق وانواعه ومسمياته، ثم التعريف بالوراقين والنساخ والمجلدين وتجار الكتب وما يتعلق بهم من تفاصيل،كذلك تقديم عرض زمني لتطور الوراقين في الموصل وأخيراً الخاتمة، والحق بالبحث جدول بأسماء الوراقين والناسخين والمجلدين وتجار الكتب وبيان بعض مفردات حياتهم.

اولاً- التعريف بانواعالورق ومسمياته:

يعد الورق اسم جنس يقع على القليل والكثير، مفرده ورقة وجمعه أوراق،والورق من أوراق الشجر،والورَّاق هو الذي يورق ويكتب[١]، وجمعها وراقُون جاءت من كلمة "وِراقة" التي تعني صناعة الورق، ونسخ الكتب، والاتجار بها[٢]. وقد وضح ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مكونات هذه الحرفة بقوله: "إنها معاناة الكتب بالاستنساخ، والتصحيح، والتجليد، وسائر الأمور الكتابية، والدواوين"[٣].

لقد ورث العرب المسلمون منذ أوائل الدعوة الاسلامية مواد الكتابة التي استعملت في الجاهلية واستخدموه في تدوين القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة[٤]، وفي ذلك ذكر ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) على لسان الامام محمد بن ادريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) (رضي الله عنه) قوله: "لما خرجت من الكُتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل

وأكتاف الجمال،اكتب فيها الحديث، واجيءُ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فاكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً"[٥].

والواقع ان نزول القرآن الكريم احدث تغير كبير في مختلف مجالات الحياة، وعندما كتب القرآن الكريم في عصر الرسول (ﷺ)كان موزعاً في الرقاع والأكتاف والعسب، لم يستخدم العرب كما يعتقد الورق في بداية الدعوة الاسلامية، اما بسبب ندرته أو غلاء أثمانه او بسبب ان النشاط التحريري كان محدوداً[٦]، اذ كتب العرب على الحجارة التي كانت تسمى (اللخاف) ومفردها لخفة وهي حجارة عريضة رقيقة بيضاء[٧]، وظلت اللخاف تستخدم كمادة للكتابة، لسهولة الخط عليها مما جعلت العرب تكتب عليها، كما انها كانت متوفرة وليست بذات قيمة،فاقبل العرب المسلمين على استخدام الحجارة بمختلف أنواعهاوأشكالها، ويبدو ان الحجارة أكثر ماكانت تستعمل في القرى والبوادي حيث يسهل وجودها واختيارها، اما في المدن والحواضر فقد كان يؤثرون عليها بقايا الخزف والفخار وما تكسر من صحاف الفخار والآنية[٨].

كما استخدم العرب المسلمين العظام وأشهرهاالأكتاف وهي عظم عريض يكون في كتف الحيوان، وظلت الأكتاف مادة أساسية للكتابة حتى النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد[٩]، فضلاً عن العسب وهي جريدة من النخيل مستقيمة تيبس ويزال عنها خواصها تستخدم للكتابة بعد تجفيفها وحكها بالزيت[١٠]، فضلاً عن الكرانيف مفردها كرنافة وهو أصل السعف الغليظ او ما تبقى في النخلة بعد قطع السعف[١١].

كما ذكر القلقشندي مواداً أخرى كانت تستخدم للكتابة منها الألواح وهي من المواد المهمة التي استخدمت في أوائل الدعوة العباسية واستمرت بعد ذلك لمدة من الزمن، مفردها اللوح وهي صحيفة عريضة من الخشب يكتب عليها[١٢]، فضلاً عن الأقمشة التي استخدمت للكتابة وهي على أنواع منها المهارق مفردها المهرق: وهي الصحيفة التي يكتب فيها[١٣] واقتصر استخدام المهارق على كتب العهود والمواثيق وفي ذلك قال الجاحظ" لايقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين او كتب عهود وميثاق وأمان"[١٤]، وبغض النظر عن تفاصيل الوراقة وموادها والدراسات التي جرت حولها، لابد من طرح السؤال عن مدى توفر واستعمال هذه المواد في الموصل وهل لمكانتها الجغرافية وطبيعتها أثر في ندرة أو توفر تلك المواد ؟ولعل مما يواجه الباحث قلة النصوص التي تساعده على الإجابةعن تلك التساؤلات، ولكن بما

يخص بعض المواد فقد بقي استعمال المهارق محدوداً،اذ وردت كلمة المهرق في بعض الصور الشعرية كما في البيت الآتي من شعر أبي تمام(ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) قوله:

مسودُ شطرَ مثل ما اسود الدجى مبيض شطرك كبيضاضُ المهرقِ

مما يدل على ان المهارق ظلت مستعملة في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد في أيام الشاعر أبو تمام، ثم اختفت من عالم الورق فقد كان هنالك ما هو قريب منها وشبيه بها، وهي الكرابيس مفردها الكرباسة: وهي كلمة فارسية تعني ثوباً من القطن الأبيض وهي بهذا الوصف قريبة من المهرق الا أنها من قطن وهو من الحرير واكبر الظن أنها كانت تعالج بشي من الصمغ أو ما أليه لإعدادها لرسم المصورات أو ما يسمى بالخرائط الجغرافية، وربما كانت مخصصة لهذا الغرض كما كانت المهارق مخصوصة للوثائق والعهود وكتب الدين[١٥]، اذ ذكر صاحب كتاب(الحوادث الجامعة)ضمن حوادث سنة(٦٣٢هـ/١٢٣٤م) في سياق كلامه عن زواج ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من مقدم جيش العراق مجاهد الدين ايبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير اذ يقول "وكتب كتاب الصداق في ثوب أطلس ابيض"[١٦] إن هذا التباعد في الأمثلة مابين القرن الرابع والسابع للهجرة /العاشر والثالث عشر للميلاد، يعطينا صورة يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج حول استعمال مواد معينة تخص أدوات الكتابة المستعملة في الموصل، لكن رغم ذلك يمكن القول ان الوراقين في الموصل لا يختلفون في عملهم عن الوراقين في الحواضر الاسلامية الأخرى.

اما الجلود فشأنها مختلف كل الاختلاف فقد ظلت أمداً غير قصير في الاسلام منذ كتب عليها المسلمون الأوائل المصحف ودونوا الحديث فاتخذت طابعاً دينياً رجح كفتها، ويبدو ان سبب ذلك يعود الى توفرها وسهولة الحصول عليها، فضلاً عن ما تتمتع به من متانة وقوة جعلتها قادرة على البقاء مدة طويلة دون ان تصاب بالتلف[١٧]، وهناك أنواع عديدة من الجلود أفضلها (الرق) وهو جلد رقيق يكتب عليه،امتاز هذا النوع بغلاء سعره وندرته،ولصعوبة الحصول عليه فقد اقتصر استخدام الرقوق على كتابة بعض الشؤون المهمة[١٨]، وحصره في نسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود، وغير ذلك[١٩] والى جانب ذلك كانت القراطيس مفردها قرطاس وتعني الورقة او الصحيفة التي يكتب عليها[٢٠]، وذكر ابن منظور ان القرطاس يتخذ من بردى يكون بمصر[٢١]، اما الزبيدي فعرفه هو الكاغد يتخذ من بردي بمصر[٢٢]، ويسمى الطومار كما عند سيبويه[٢٣]، وأشارت معاجم اللغة إلى انه الصحيفة التي يُكتب عليها إذ ورد

ذكره في القران الكريم بهذا المعنى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ﴾[٢٤] وبعد هذا فالقراطيس لم تكن تعني قراطيس البردي ذاتها، بل كانت التسمية تطلق على الصحف والورق وغيرها من مواد الكتابة، وفي ضوء ما تقدم يبدو ان القراطيس كانت غالية الثمن لذلك كان استعمالهم لها في بعض الشؤون الإدارية والديوان، ونخلص الى ان القراطيس كانت معروفة قبل الاسلام، ثم انتشر استخدامها بعد سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) أي بعد فتح مصر، وظل استخدامها حتى بعد انتشار صناعة الورق[٢٥].

ولعل ما يفيد البحث ان القرطاس لم يكن أصيلاً في العمل به بمدينة الموصل، كما كان في مصر، بل انه وافد وان استعماله هو تقليد لأمصارأخرى مجاورة، ولعل السبب في انتشاره في مصر هو الظروف البيئية التي تتناسب مع مواد القرطاس، فضلاً عن توفر القصب والبردي الذي هو مادة القرطاس، في حين ان مثل هذه الظروف وتلك النباتات لا تتوفر في الموصل.

أما الورق أو الكاغد قلم يعرف العرب في الجاهلية وصدر الاسلام صناعته، فقد أشار معظم المهتمين بمواد الكتابة إلى ان العرب عرفوا هذه الصناعة لأول مرة عندما اندفعت جيوش العرب المسلمين وحطمت حشود فرغانة آخر معاقل سمرقند، ويبدو ان الورق السمرقندي نال شهرة واسعة في العالم الاسلامي،فكان مصدره بلاد الصين التي عرفته سنة(١٠٥م)[٢٦]، حين توصل احد الصينيين ويدعى (تساى لون –Tsai Lun) المتوفي سنة ١٢١م إلى طريقة لاستخدام مواد رخيصة في صناعته ورقاً للكتابة من الالياف ورقائق شجر التوث وكان هذا الاكتشاف خطوة هامة في تاريخ مواد الكتابة[٢٧]، وفي سنة (١٣٣هـ/٧٥٠م) اسر زياد بن صالح حاكم سمرقند عدداً من صناع الورق الصينيين الذين أقاموا للمسلمين معامل للورق وقبل نهاية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد،انشأت معامل للورق في بغداد ودمشق وغيرها من المدن العربية في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد، والواضح ان الورق السمرقندي كان مشهوراً في بغداد وغيرها من المدن الاسلامية[٢٨]، ويذكر ابن النديم بأن الورق السمرقندي او الخراساني كان يصنّع من الكتان ويقال انه حدث في أيام بني أمية وقيل في الدولة العباسية وقيل انه قديم[٢٩]، وظلت سمرقند مشهورة بصناعة الورق أكثر من ثماني وثلاثين عاماً

(١٣٣-١٧٠هـ/٧٥٠-٧٨٦م) حتى مجيء هارون الرشيد الذي نقل صناعته إلى بغداد ومنها انتقلت إلى بلاد الشام ومصر[٣٠]

وتجدرالإشارة إلى ان علماء الموصل وأدبائها قد أسهموا مع بقية العلماء بالاهتمام بأدوات الكتابة والنسخ ومن هذه الأدوات القرطاس والقلم والمداد(الحبر)[٣١]، إذ كان أدباء الموصل مثل جعفر بن حمدان الموصلي(ت٣٢٣هـ/٩٣٤م) يؤكد على القرطاس الأبيض الصقيل اللماع لكي تكون فيه الكتابة سهلة وتظهر بشكل أنيق،وقد وصفه بقوله:

في يديه من القراطيس كالمزنة جادت بواكفٍ مدرار
كالملاء الرحيض كالبيض بيض الهند،كالبيض،كالمياه الجواري
كالسراب الرقراق في عنفوان الصيف نصف النهار في ايار
ما تبالي احلت عينك فيه حين يطوى ام في حضور العذارى
يسبح الخط فيه عفواً فما يكبو بوعث فيه ولا بحبارِ[٣٢]

كما ذكر ابن النديم أنواع الورق منه السليماني[٣٣] الذي استخدمه الشاعران الخالديان الموصليان في كتاباتهم لديوان شعر الخباز البلدي المتوفي سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) في الموصل[٣٤].الا ان البغدادي هو أفضل أنواع الورق وهو الذي يستخدم في الغالب لكتابة المصاحف الشريفة وفي دواوين الانشاء كما يشير إلى ذلك القلقشندي[٣٥]، فوجود الورق ورخص ثمنه في العصور اللاحقة أدى إلى ظهور الوراقين، وتبع ذلك الاهتمام بأدوات الكتابة،فضلاً عن ذلك فقد اهتم وراقوا الموصل بالأقلام والمحابر، فالقلم يعد من اشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة، اذ هو المباشر للكتابة دون غيره وشرفه الله عندما أضاف التعلم بالقلم كما جاء في الآية الكريمة ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[٣٦]، وكان الكُتاب يتخذون سكيناً حادا لبراية أقلامهم والقلم اذا كان مبرياً سمي قلماً واذا لم يكن مبرياً فهو يراعة وقصبة[٣٧]، وكان التفاضل بين القلم والسيف والانتصار لواحدة منهما من بين الموضوعات التي شاع فيها أدب المناظرة[٣٨].

وأشار ابن باديس في كتابه (عمدة الكتاب) ان "أفضل الأقلام المعتدل الحالات في الرقة والغلظ والتبطين، والطول والقصر"[٣٩]، والأقلام تتفاوت في الجودة والدقة فأجودها ان تكون أنابيب القصب اقلها عقدا أكثفها لحما واصلبها قشرا وأعدلها استواء، كما تختلف الأقلام في

الطول والقصر[٤٠]، وكان الاهتمام بها من قبل الوراقين الذين زاروا مدينة الموصل اذ ذكر الوزير ابو علي بن مقلة (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) الذي قدم الى الموصل سنة(٣٢٣هـ/٩٣٤م)[٤١] ان خير الأقلام ما كان طوله من ستة أصبعا إلى أثنى عشر. ولما كثرت ظاهرة الخطوط في العصر العباسي اخذ الكتاب والخطاطون يحتفظون بأعداد مناسبة من الأقلام في الدواة الواحدة[٤٢] وقد وصف القلم من قبل نساخ الموصل ومنهم السري الرفاء (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) الذي ذكر كثيراً من مزاياه مبيناً دقة بريه كأنه السنان بحيث تفيض منه بحور من الأفكار لسهولة كتابته قائلاً:

ذو قلمٍ عزَّ جانبـــــاه فذا نعيمُ وذا بوارُ
مثقف كلـــهٌ سنـــانٌ ومنصلٌ كله غـرارُ
يفيض في الطرس منه بحر تمده السبعة البحارُ[٤٣]

اما صناعة الحبر فعلى الرغم من ان المصادر والوثائق التاريخية والآثارية لم تشر إلى الفترة التي عرف فيها العرب المسلمون صناعة الحبر، الا انهم عرفوه في أوائل العصر الاسلامي عندما انتشرت الكتابة[٤٤]، ودعتهم الحاجة الى تسجيل آيات القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إلى جانب نشاطاتهم الأخرى، ولعل ما كتبه القلقشندي عن استخدام سخام النفط والمراحل التي يمر بها سيلقي الضوء على هذه الفكرة فقد كتب عن لسان الوزير أبو علي بن مقلة (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) يقول:" وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط، وذلك ان يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته ثم يلقى في طنجير، ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في أناء ويرفع إلى وقت الحاجة.."[٤٥]، يبدو ان هذه الطريقة في تحضير الحبر كانت معروفة في الموصل وان سواد الحبر في جودته، وانه يستخدم في كتابة المصحف الشريف ويستشهد بذلك،وقد وصف السري الرفاء المحبرة التي كان يستخدمها في النسخ بقوله:

وكأنه والحبرُ يخضب رأسه شيخٌ لوصل خريدةٍ يتصنعُ
لم لا الا خطهُ بعين جلالةٍ وبه إلى الله الصحائف ترفعُ[٤٦]

اما اهتمام العلماء والنساخ بنوع الخط وجودته فقد كان الخط المنسوب، المتطور عن الخط الكوفي القديم هو الخط الذي اشتهر به الوزير ابن مقلة الذي زار الموصل ولقي اهتماماً كبيراً من قبل وراقي ونساخ الموصل،مما كان له اثر في تنشيط حركة النسخ فيها[٤٧]، ولايمكن الجزم بأن ابن مقلة له اثر كبير في صناعة الورق والخط، لكنه بشكل وبآخر اشتهر بخطه وإنشاءه.

ثانياً- الوراقون

لم تقتصر أعمال الوراقين على نسخ الكتب فقط، فقد نجد بعض الوراقين ممن له القدرة على القيام بجميع الأعمال التي تندرج تحت مهنة الوراقة، أو القيام ببعضها، فهم مثل العلماء الأوائل الذين برعوا وأجادوا في كثير من فنون المعرفة، ولم يقتصروا على علم بعينه.

وعن أهمية الخطوات العملية التي يقوم بها الوراق أثناء ممارسته لمهنة الوراقة وسلامتها، يقول السبكي: "هي من أجود الصنائع، لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم، ووثائق الناس وعهدهم. فمن شكر صاحبها نعمة الله تعالى أن يرفق بطالب العلم وغيره، ويرجح جانب من يعلم أن يشتري الورق لكتابة كتب العلم، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب ما لا ينبغي من البدع والأهواء ومن شهادات الزور والمرافعات وأنحاء ذلك."[٤٨]

وقد عرفت مدينة الموصل عدداً من الوراقين الذين أهتموا بجمع وبيع الورق فقط حتى أطلق لقب الورّاق عليهم، وكان لهؤلاء دور في نشر العلم مثل المحدثحمدان بن عمرو الوراق الموصلي توفي بعد سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) سمع الحديث من عبد الله بن أبي سفيان واحمد بن الحسين الحداد المواصلة[٤٩]، والمحدث المؤدب أبو الحسن علي بن ابراهيم السكوني الموصلي الوراق (ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)[٥٠]، والمحدث عمر بن عبد الباقي بن علي الموصلي الوراق (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) ولد في الموصل،لكنه سكن دمشق وسمع بها رشا بن نظيف (ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م)[٥١]، والمحدث أبو الفضائل الربعي محمد بن طوق الموصلي الوراق (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) درس الحديث على يد أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي (ت٤٤٧هـ/١٠٥٥م) وأبي الطيب الطاهر الطبري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[٥٢]، والمقرئ المحدث أبو جعفر بن السمين عبيد الله بن احمد بن علي البغدادي الوراق نزيل الموصل (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) سمع الحديث من أبي الحسن الزاغوني (ت٥٢٧هـ/١١٣٢م) وأبومنصور

القزاز (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م)، حدث بالكثير من الأحاديث بالموصل وكان صالحاً ديناً من أهل التقشف والصلاح والنسك يكل من كسب يده حتى وفاته بالموصل[٥٣].

ثالثاً. النساخ

هم الذين ينسخون الكتب لقاء أجر معلوم، أو من المكثرين بغير أجرة، واشتق منه مصطلح النساخة،مقابلا لمصطلح التوريق، ويقصد به نسخ الكتب. وقد كثرت أعدادهم مع انتشار صناعة الورق في العصر العباسي. وكان لهؤلاء دور واضح في المحافظة على تراث حضارتنا، من خلال نسخهم المستمر لكنوز الثقافة والعلم، منذ بداية التدوين[٥٤].

وهنا يقول ابن الحاج عن النساخ:"اعلم رحمنا الله وإياك أن الناسخ في الأجر والثواب يربو على الوراق، لأنه في عبادة عظيمة، إذ أنه لا يخلو من أن يكون نسخه في كتاب الله تعالى، أو حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أو في الفقه، أو غيره من العلوم الشرعية...فليحذر ان ينسخ بعض الكتب كقصة الأبطال وعنترة وشبههما؛ فإن ذلك ممنوع أو الحكايات المضحكة وشبهها، فإنه مما لا ينبغي"[٥٥]، وفي هذا قال السبكي: "ومن حقه –أي الناسخ– ألا يكتب شيئا من الكتب المضلة، ككتب أهل البدع والأهواء، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها، كسيرة عنترة وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضيع الزمان، وليس للدين بها حاجة، وكذلك كتب أهل المجون ...وغير ذلك مما يهيج المحرمات. فنحن نحذر النساخ منها؛ فإن الدنيا تغرهم. وغالباً مستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة، غالبا، أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم، فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه،

ومن النساخ من لا يتقي الله تعالى، ويكتب عن عجلة، ويحذف من أثناء الكتاب شيئا رغبة في إنجازه، إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة. وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض... قال أصحابنا: ولو استأجره ليكتب شيئا، فكتبه خطأ أو بالعربية فكتبه بالعجمية، أو بالعكس، فعليه ضمان نقصان الورق،ولا أجرة له."[٥٦]

اما اهتمام علماء ونساخ الموصل بنوع الخط وجودته فقد كان الخط المنسوب،المتطور عن الخط الكوفي القديم هو الخط الذي اشتهر به ابن مقلة الوزير ولقي اهتمام في الموصل مما كان له اثر في تنشيط حركة النسخ فيها[٥٧]، واستناداً إلى ذلك فقد ظهر في الموصل نساخون اشتهروا بالخط الجيد مثل السري الرفاء وهو احد نساخ الموصل اذ أصبح نساخاً بعد ما ترك

مهنة الخياطة،قال الثعالبي"وانتقل عن تطريز الثياب إلى تطريز الكتاب"[٥٨]، وقد أشار الخطيب البغدادي إلى انه مارس مهنة النسخ بعد ان ناصبه العداء الخالديان فاتجه إلى الوراقة وبدأ يورق شعره ويبيعه[٥٩]، والنحوي أبوالقاسم عبيد الله بن محمد بن جرو الاسدي النحوي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) درس الأدب على أبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م) وأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) وكان ذكياً حاذقاً"جيد الخط صحيح الضبط"[٦٠]، ويبدو انه استفاد من حسن خطه إذ ألف العديد من الكتب منها كتاب (الموضح في العروض) وكتاب (المفصح في القوافي)[٦١]، والنحوي أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) تميز بخط كثير الضبط وكان له طلاب من الموصل اذ ذكر ياقوت الحموي "وكان لابن جني من الولد علي وعالِ وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط، وحسني الخط"[٦٢]، إذ امتاز أبو سعد عالي بن عثمان بن جني (ت٤٥٧هـ/١٠٦٤م) "بحسن الخط" [٦٣]، وهذا مادفع ابن جني لكتابة العديد من الكتب بخطه منها كتاب (شرح الكافي في القوافي) وكتاب (المحتسب في علل شواذ القراءات) وغيرها من الكتب[٦٤]، فضلاً عن المحدث أبو الفضائل محمد بن احمد بن عبد الباقي بن طوق الموصلي(ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) سمع الحديث على أبي الطيب طاهر الطبري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) امتاز بخطه العجيب اذ ذكر عنه انه "وكتب بخطه الكثير وكان يكتب خطاً عجيباً"[٦٥]، وكذلك محمد بن منصور بن دبيس بن احمد بن درع أبو عبد الله توفي بعد سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) كان ينسخ الكتب في الموصل وهو شاب[٦٦]، ومحمد بن شعيب بن عبيد الله التميمي أبو عبد الله ورد من اربل إلى الموصل سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) وأقام بها شهراً وكانت مدة أقامته يستنسخ كتاب المثل السائر ويتردد إلى مصنفه أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) يقرأ عليه، فحين فرغ من نسخه عاد إلى اربل سنة (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[٦٧]

رابعاً- المجلدين

المجلد هو من يعمل في صنعة التجليد. وهو مصطلح مشتق من الفعل جَلَّدَ، و"جلد الكتاب، ألبسه الجلد"[٦٨] ويستخدم هذا المصطلح في كافة بلاد المشرق. ويعد تجليد الكتب أحد فروع الوراقة، وهي من المهام التي يقوم بها بعض الوراقين والذي واكبها منذ البدايات، حتى بلغ فن التجليد في العصر العباسي ذروته، وقد أشار صاحب كتاب (المدخل إلى عمل المجلد) بقوله:"ويتعين عليه ان ينظر في الورق الذي يبطن به، فان الغالب على بعض الصناع في هذا

الزمان أنهم يستعملون الورق من غير ان يعرفوا ما فيه وذلك لا يجوز لأنه قد يكون فيه القرآن الكريم، او حديث النبي (ﷺ)... فيكره ذلك"[٦٩]، وممن عمل بتجليد الكتب في مدينة الموصل السري الرفاء اذ كان يشتغل بتجليد الكتب فقد كتب على ظهر كتاب جلده بجلد اسود أهداه لصديق له:

وادهمَ يسفرُ عن ضده كما سفرَالليلُ اذ ودا
بعثتُ اليك به أخرساً يناجي العيون بما استودعاَ
صموتُ اذ ازر جلبابهُ أريبُ فان حله أمتعاَ[٧٠]

وكذلك المجلد القاص محمد بن سليمان بن كمشتكين بن اسفنديار أبو عبد الله الموصلي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) كانت صنعته في ابتداء أمره تجليد الكتب والدفاتر، ولعل شهرته في عمله هذا جعلته يعرف بالمجلد مما يدل على جودة صنعته، ثم تركها وصار يكتب القصص، ويقول الشعر ويمدح به الرؤساء والأكابر، وله بديهة في النظم وخط حسن ولقي جماعة من الشعراء واخذ عنهم من أشعارهم[٧١].

كما كان بعض وراقو الموصل يجمعون بين تذهيب الكتب وتجليدها، فضلاً عن تمتعهم بالخط الجميل مثل الشاعر احمد بن بوران بن سنقر بن عبد الله أبو علي الموصلي توفي بعد سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) اذ ذكره ابن الشعار بأنه" اشتهر في صناعة تذهيب الكتب، فاق في ذلك أهل زمانه لا يماثله احد، ويكتب خطاً مليحاً"[٧٢]، ان مدح ابن الشعار لاحمد بن بوران الموصلي في صناعته يدل على جودة عمله وإتقانه لتذهيب الكتب، لاسيما وان ابن الشعار من كتاب التراجم الذين لهم مكانتهم في عصره.

خامساً- تجار الكتب

تعد تجارة الكتب من المهن الرفيعة والشريفة، فبها تم نشر العلم، وعم النفع، وارتقت الأمم، وتجار الكتب يدخلون في باب الوراقين وهم الوراقون الدلالون الذين يتوسطون في بيع الكتب (الدلال)، وذكر السبكي الدلالون، فمنهم دلال الكتب، ومن حقه ألا يبيع كتب دين ممن يعلم أنه يضيعها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها وألا يبيع شيئا من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة، كسيرة عنترة وغيره، ولا يحل له أن يبيع لكافرٍ المصحف، ولا شيئا من كتب الدين والفقه."[٧٣]

وقد ذكر احد الباحثين انه كان في الموصل سوق للوراقين، لكنه لم يحدد لنا موقعه[٧٤]، بدليل اهتمام أمراءالموصل وعلمائها بتجارة الكتب اذ بعث الامير سيف الدولة الحمداني موفداً لسوق الوراقين ليبتاع له (كتاب الأغاني) لابو الفرج الاصفهاني ودفع ثمنه ألف دينار[٧٥]،كما زار الموصل عدة علماء خلال مدة البحث لغرض تجارة الكتب مثل ابن النديم وهو أبو الفرج محمد بن اسحق الوراق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) صاحب كتاب (الفهرست)، كان أبوه وراقاً في بغداد واغلب الظن انه كان لديه دكان يبيع فيه الكتب، بل كان مركزاً يجتمع فيه العلماء الذين كانوا يرتادونه لقراءة الكتب[٧٦]، وذكره ياقوت الحموي بأنه "كان وراقاً يبيع الكتب"[٧٧] قضى في الموصل ردحاً من الزمن حينما كانت الأسرة الحمدانية هي الحاكمة بين (٣١٥-٣٥٨هـ/٩٢٧-٩٦٨م) يكثرمن زياراته للموصل وخاصة في سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) وكانت بينه وبين علمائها علاقات علمية، إذ ذكر في الفن الثاني من المقالة الرابعة من كتابه الفهرست انه اجتمع بالخالديان' كما اجتمع بأحد قضاة الموصل واسمه أبو عبد الله محمد بن احمد الصفواني وهذا ما أورده في الفن الخامس من المقالة الخامسة، [٧٨]، كما اشتهر الأديب أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي الذي ولد ببلاد الروم واسر من بلاده وهو صغير واشتراه تاجر من بغداد ألحقه بالكُتاب ليعاونه في أمور تجارته ولما توفي مولاه اشتغل ياقوت الحموي أول الأمر بنسخ الكتب بالأجرة، ثم غادر بغداد بعد ذلك إلى عدة مدن منها الموصل التي دخلها سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م)هارباً من المغول[٧٩]، وكذلك احمد بن جعفر بن الحسن بن علوان بن حمزة التكريتي الأصل بغدادي المولد والمنشأ، كان دلال الكتب وبائعها وكان كثير التردد إلى الموصل واقام عدة مرات وكان يشتغل في تجارة الكتب توفي بعد سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) [٨٠].

جدول بأسماء الوراقين والنساخ والمجلدين وتجار الكتب في الموصل

اسم الوراق	سنة الولادة والوفاة	العلم الذي برع فيه	قادم أو راحل اومقيم	شيوخه	مؤلفاته	علاقته بالسلطة	المصدر
حمدان بن عمرو الوراق	(ت بعد ٣٠٠هـ/٩١٢م)	الحديث	مقيم				الذهبي،سير،١٦/ ٣٤٨
أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي	(٢٤٠-٣٢٣هـ/٨٥٤-٩٣٤م)	الفقه،الأدب	موصلي ثم نفي إلى بغداد		له عدة كتب في الفقه الشافعي	كان صديقاً لكل وزراء عصره مفضلاً عندهم	ياقوت الحموي، معجم الأدباء،مج٣/١١٤-١٢١
أبو علي بن	(ت٣٢٨	الخط	قادم			وزير لثلاثة	ابن خلكان،وفيات

مقلة	هـ/٩٣٩م)				خلفاءعباسين هم المقتدر والقاهر والراضي		الأعيان،مج٤/٣٥٧
أبو الحسن السري بن احمد الرفاء	(ت٣٦٢هـ/٩٧٢م)	الشعر	مقيم		له ديوان شعر	له علاقة بامراء الدولة الحمدانية	السري الرفاء،ديوان،ج٢/ ٩٤-٩٥
أبو الحسن السكوني	(ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)	الحديث	موصلي سكن بغداد	حدث عن عبد الله بن أبي سفيان (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م)واحمد بن الحسين (ت٣٥٥هـ/٩٤٦م)			ابن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،مج١١/٣٣٩-٣٤٠
ابن النديم	(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)		قادم من بغداد		كتاب(التشبيهات) وكتاب(الفهرست)		ياقوت الحموي، معجم الأدباء،مج٦/٤٩٦
أبو القاسم عبيد الله بن محمد الاسدي	(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)	النحو	موصلي رحل إلى بغداد	ابو سعيد السيرافي(ت٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)و أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)	كتاب (الموضح في العروض)وغيرها		ياقوت الحموي، معجم الأدباء،مج٤/٣٦٨-٣٧٠
أبو الفتح عثمان بن جني	(ت٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)	اللغة	مقيم	ابو علي الفارسي	كتاب(شرح الكافي في القوافي)وغيرها		ياقوت الحموي، معجم الأدباء،مج٣/٣٨١
أبو حفص عمر بن عبد الباقي الموصلي	(ت٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)	الحديث	رحل إلى دمشق	رشا بن نظيف (ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م)			ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج٤٨/٨٠
أبو الفضائل محمد بن احمد الموصلي	(ت٤٩٤هـ/ ١١٠٠م)	الحديث	موصلي رحل إلى بغداد حتى وفاته	سمع أبا القاسم علي التنوخي(ت٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) ابو الطيب الطبري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)			الصفدي، الوافي،ج٢/٧٦
أبو جعفر بن السمين الوراق	٥٢٣-٥٨٨هـ/١١٢٨-١١٩٢م)	القراءة،الحديث	قدم من بغداد الى الموصل حتى وفاته	أبو الحسن الزاغوني(ت ٥٢٧هـ/١١٣٢م)وأبو منصور القزاز(ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)			الحنبلي،شذرات الذهب،٤/٢٩٣

أبو عبد الله محمد بن منصور	(ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٦م)	الشعر،الوعظ	مقيم	أبو اسحاق ابراهيم بن البرني (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)		مدح بدر الدين لؤلؤ	ابن الشعار/قلائد الجمان،مج٦ج٧/ ١٣٧
ياقوت الحموي	(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨)	التاريخ والادب	قادم		معجم الأدباء،معجم البلدان وغيرها		ياقوت الحموي، معجم الأدباء،ج١/١٠-١١
أبو عبد الله محمد بن شعيب	(ت بعد٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)	الشعر واللغة	قدم من اربل				ابن الشعار،قلائد الجمان،مج٦ج٧/ ١٢٩
محمد بن سليمان الموصلي	(ت٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)	الشعر	مقيم			مدح بدر الدين لؤلؤ	ابن الشعار،قلائد الجمان،مج٦ج٧/٤٥
احمد بن بوران الموصلي	(ت بعد ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)	الشعر	مقيم			مدح بدر الدين لؤلؤ	ابن الشعار،قلائد الجمان،مج١ج١/ ٣٢٣

الخاتمة:

على الرغم من قلة النصوص عن الوراقين في الموصل خلال مدة موضوع البحث الا انه قد توصل البحث إلى عدة نتائج يمكن اجمالها بالنقاط الاتية:

أولاً-ان دخول الورق منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، قد احدث تغييراً في الحياة الفكرية العربية، بيد أن الورق كان قد دخل الى بلاد العرب من الصين عن طريق الفتوحات، فالعرب لم يكونوا ناقلين ومقلدين، ولكنهم مبدعين فلهم وحدهم يعود الفضل في استبدال مادة الحرير الغالية الثمن بالخزف بمواد اولية رخيصة ومتوفرة، وهم الذين يسروا الورق الرخيص الثمن لعامة الكتاب.

ثانياً-افرز لنا التاريخ الحضاري للموصل وراقين مبدعين أكسبوا الخط العربي سمات ومزايا جمالية، وهؤلاء كانوا من الصفوة المختارة الذين نالوا الحظوة لدى الولاة والخلفاء العباسيين وكان لهم دور سياسي وعلمي نذكر منهم على سبيل المثال الوزير أبو علي بن مقلة (ت٣٢٨هـ /٩٣٩م) الذي تواجد في الموصل مدة من الزمن.

ثالثاً-لقد توصل البحث إلى ان هناك أكثر من خمسة عشر وراقاً في الموصل منذ القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجريين/العاشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلاديين، في حين أن هذا العدد كان مرهوناً بما ورد في كتب التاريخ والتراجم عن هؤلاء الوراقين، وبالتالي من

الممكن ان يكون هناك أضعاف هذا العدد من الوراقين في الموصل، مما لم يصلنا خبره لاسيما وان كتب التراث المفقودة هي الفيصل في تحديد عدد الوراقين في الموصل.

رابعاً- ان الطبيعة الجغرافية والمناخية لمدينة الموصل جعلت وراقي المدينة يستخدمون مواداً معينة في الوراقة وكل ما يتعلق بها من نسخ وتجليد وتذهيب الكتب، في حين ان توفر القصب والبردي في مصر وعدم توفره في الموصل، قد أسهم بشكل كبير في أحداث الفرق بين الحواضر الاسلامية في عدد الوراقين واختلاف أدوات عملهم.

الهوامش:

(١) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، (بيروت:١٩٧٩)، دار صادر، ص٦٧٢؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، (بيروت:١٩٧٩)، دار القلم، ص٧١٧؛ القلقشندي، احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت:١٩٩٠)، دار الكتب العلمية، مج٢/٥١٦؛ الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، معجم قاموس المحيط، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، ط٣، (بيروت:٢٠٠٨)، دار المعرفة، ص١٣٩٣.

(٢) كحالة، عمر رضا، العلوم العملية في العصور الاسلامية، (دمشق:١٩٧٢)، المطبعة التعاونية، ص٢٧٥.

(٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، (بيروت:٢٠١١)، مج ١/٣٢٣.

(٤) أمين، نضال عبد العالي، أدوات مواد الكتابة في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (بغداد:١٩٨٢)، ص٩٠.

(٥) ينظر: معجم الأدباء أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: عمر فاروق الطباعة، ط١، (بيروت:١٩٩٩)، مؤسسة المعارف، مج٦/٤٥٤

(٦) أمين، أدوات الكتابة، ص١٠٥.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، مج٢/٥١٥

(٨) الزيات، حبيب، (صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام)، بحث منشور في مجلة المشرق، (بيروت:١٩٥٤)، العدد٤٨،ص٨٩-٩٠

(٩) الاسد، ناصرالدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٥، (القاهرة:١٩٧٨)، دار المعارف، ص٨٥-٨٦.

(١٠) القلقشندي، صبح الاعشى، مج٢/٥١٥

(١١) نيقولا، ديمتري، (تاريخ الكتابة وأدواتها)، بحث منشور في مجلة المقتطف، (مصر: ١٩١٤)، مج٤٥/٤٨٤.

(١٢) ينظر: صبح الاعشى، مج٢/٥١٢؛ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص٨٠.

(١٣) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل ابراهيم جفال، ط١، (بيروت:١٩٩٦)، دار أحياء التراث العربي، ج٨/٤؛ الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص٨٠.

(١٤) ينظر: كتاب الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط٢، (بيروت:٢٠٠٣)، دار الكتب العلمية، ج٥٠/١.

(١٥) ابو تمام، حبيب ابن اوس، ديوان ابي تمام بشرح التبريزي، تحقيق: محمد عبدة عزام، (مصر : ١٩٦٤)، دار المعارف ص٢٥٠؛ الحاجري، محمد طه، (الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية)، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١٣، (بغداد:١٩٦٦)؛ الاسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص٨٠.

(١٦) ينظر: ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن احمد، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط١، (بيروت:٢٠٠٣)، دار الكتب العلمية، ص٧١.

(١٧) الحاجري، (الورق والوراقة)، ص٨٤-٨٥.

(١٨) امين، نضال، أدوات الكتابة، ص١١٦.

(١٩) كحالة، العلوم العملية، ص٢٨١-٢٨٢؛ العبيدي، صلاح حسين وآخرون، الخط العربي، (الموصل :١٩٩٠)، مطابع التعليم العالي، ص٦٠.

(٢٠) القلقشندي، صبح الاعشى، مج٢/٥١٤.

(٢١)ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، (بيروت:١٩٥٦)، دار بيروت، ج١٧٢/٦.

(٢٢) الزبيدي، ابوالفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من الباحثين، (مصر : د/ت)، دار الهداية، ج٣٦٦/١٦.

(٢٣)ابن سيدة، المخصص، ج٨/٤.

(٢٤)سورة الأنعام، آية ٧.

(٢٥)الحاجري، (الورق والوراقة)، ص٧٤؛ أمين، أدوات الكتابة، ص١٠٩.

(٢٦)الصيني، بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، ط١، (القاهرة:١٩٥٠)، مكتبة النهضة المصرية، ص٢٤٣-٢٤٥؛ لوبون، غوستاف، حضارةالعرب، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر:٢٠١٢)، الهيئة المصرية العامة، ص٤٨١.

(٢٧)Grohmann ,A ,From The Word of Arabi Papyri , (Cairo:1950)p.50

(٢٨)الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، لطائف المعارف، (مصر:د/ت)،ص١٣٦.

(٢٩)ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق، تعليق: يوسف علي طويل، ط٢، (بيروت:٢٠٠٢)، دار الكتب العلمية، ص٣٤.

(٣٠)أمين، أدوات الكتابة، ص١٣٩.

(٣١) احمد، عبد الجبار حامد، الحياة الفكرية في الموصل في القرنين الرابع والخامس للهجرة العاشر والحادي عشر للميلاد، (الموصل: ٢٠١٣)، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ص١٤٢.

(٣٢) الالوسي، محمود شكري، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجة الاثري، ط٣، (مصر:١٣١٤هـ)، دار الكتاب العربي،٣/٣٧٩.

(٣٣)الورق السليماني: نسبة الى سليمان بن راشد الذي تولى خراج خراسان في زمن الخليفة هارون الرشيد، للمزيد: ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت:١٩٨٧)، ج٢/٩٤٨.

(٣٤)احمد، الحياة الفكرية في الموصل، ص١٣٣.

(٣٥)ينظر:صبح الاعشى، مج٢/٥١٦.

(٣٦) سورة العلق، آية٣و٤.

(٣٧)الحاجري، (الورق والوراقة)، ص٨٣.

(٣٨)امين، أدوات الكتابة، ص١٢٠.

(٣٩)ينظر: ابن باديس، المعز، عُمدة الكتاب وعُدة ذوي الألباب، تحقيق:اياد خالد الطباع، (دمشق:٢٠١٠)، وزارة الثقافة، ص٢٨

(٤٠)الحاجري، (الورق والوراقة)، ص٨٤.

(٤١)ابن مقلة: هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور كان أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها، وتنقلت أحواله الى ان استوزره الخلفاء العباسيين كل من الخليفة المقتدر بالله، والخليفة القاهر والخليفة الراضي بالله، ثم حبس ومات بالحبس سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م)، وهو اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة، للمزيد ينظر، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٤، (بيروت:٢٠٠٦)، دار الكتب العلمية، مج٧/١١٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٤/٣٥٧

(٤٢)الحاجري، (الورق والوراقة)، ص٨٤-٨٥.

(٤٣) ينظر: ديوان السري الرفاء، تحقيق ودراسة: حبيب حسين الحسيني، (العراق:١٩٨١)، دار الرشيد للنشر، ج٢/٣٠٧.

(٤٤) أمين، أدوات الكتابة، ص٩٠

(٤٥)ينظر: صبح الاعشى، مج٢/٥٠٤

(٤٦)ينظر: ديوان السري الرفاء، ج٢/٣٨٥

(٤٧) ذنون، يوسف، (الخط العربي في الموصل منذ تمصيرها حتى بداية القرن العاشر الهجري)، بحث منشور في موسوعة الموصل الحضارية، ط١، (الموصل:١٩٩٢)، دار الكتب للطباعة والنشر، ج٣/٢٣٤هامش٧.

(٤٨)السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الاسلامية، ط٢، (لبنان:١٩٨٥)، دار الحداثة، ص١٣٢

(٤٩)الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، (بيروت:٢٠١١)، دار الكتب العلمية، مج١١/٣٣٩-٣٤٠.

(٥٠)الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: اكرم البوشي، ط١١، (بيروت:٢٠٠١)، مؤسسة الرسالة، ١٦/٣٤٨

(٥١)ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، ط١، (بيروت:٢٠٠١)، دار أحياء التراث العربي، ج٤٨/٨٠

(٥٢)الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنأووط وتركي مصطفى، (بيروت:د/ت)، دار أحياء التراث العربي، ج٢/٧٦.

(٥٣)ابن الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت:د/ت)، دار أحياء التراث العربي، ج٤/٢٩٣

(٥٤)الحبشي، عبد الله، الكتاب في الحضارة، (الكويت:١٩٩٠)، ص٣٠ للمزيد، ينظر:

Lindley J. Stiles , A Bookcase and Some Old Musty Books , Theory into Practice, Vol. 8, No. 5, (Dec., 1969), 322 .

البحث في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني:

www.ivsl.org :

(٥٥)ينظر: ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، دار الفكر، (مصر:د/ت)،ج٤/٨٢.

(٥٦)السبكي، معيد النعم،ص١٣١.

(٥٧)ذنون، (الخط العربي)،٣/٢٣٤

(٥٨)ينظر: يتيمة الدهرفي محاسن أهل الدهر،ط١،(مكة المكرمة:١٩٧٩)،دار الباز للنشر والتوزيع،٢/١١٨.

(٥٩)ينظر: تاريخ بغداد،٩/١٩٤

(٦٠) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مج٤/٣٦٨-٣٧٠.

(٦١)المصدر نفسه، مج٤/٣٧٠

(٦٢)المصدر نفسه، مج٤/٣٨٧.

(٦٣) المصدر نفسه، مج٤/٣٥٦

(٦٤) المصدر نفسه، مج٤/٤٠٠-٤٠١.

(٦٥)الصفدي، الوافي، ج٢/٧٦

(٦٦) ابن المستوفي، أبو البركات المبارك بن احمد بن موهوب، تاريخ اربل، تحقيق: سامي الصقار، ط١، (العراق:١٩٨٠)، ٤٥٩/١؛ ابن الشعار، أبو البركات كمال الدين المبارك، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، ط١، (بيروت:٢٠٠٥)، دار الكتب العلمية، ج٧مج١٣٧/٦

(٦٧) ابن الشعار، قلائد، مج٦ج١٢٩/٧

(٦٨)الهنائي، أبو الحسن علي بن الحسن، المنجد في اللغة، تحقيق: احمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي،ط٣، (بيروت:١٩٨٨)، دار المشرق،ص٩٩

(٦٩) ينظر:ابن الحاج، المدخل،٨٣/٤-٨٤.

(٧٠)ينظر:ديوان السري الرفاء،ج٣٨٦/٢

(٧١) ابن الشعار، قلائد، مج٦ج٤٥/٧

(٧٢) المصدر نفسه،مج١ج٣٢٣/١.

(٧٣)السبكي، معيد النعم،ص١٤٣.

(٧٤)كحالة، العلوم العملية،ص٢٥٥.

(٧٥)ذنون، (الخط العربي)،٢٣١/٣.

(٧٦)ددج، بيارد، حياة ابن النديم، ترجمة: د.ا.ج. شوريز، بحث منشور في مجلة اللغة العربية بدمشق، (دمشق:١٩٧٠)، مج٤٥،ع١-٥٤٥/٤.

(٧٧)ينظر: معجم الأدباء، مج٤٩٦/٦.

(٧٨)ابن النديم، الفهرست، ص٣٣٦،٢٧٨.

(٧٩) ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج١٠/١-١١.

(٨٠) ابن الشعار، قلائد الجمان،مج١ج٣٢٨/١.

بنو الرُوّاد الموصليون ودُورهُم السِيَاسي في أذربيجَان
خلال القرنين (٤-٥هـ/١٠-١١م)

م. د. محمد نزار الدباغ*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٣/٣٠
تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على دور قبيلة بنو الرواد الأزدية الذين كان أصلهم من مدينة الموصل وهاجروا إلى أذربيجان وأسسوا فيها أسرة من الأسر المحلية التي أقامت لها حكماً في جزء من أذربيجان (بين مدينتي تبريز ومُراغة) في الوقت الذي كانت تقوم دويلات أخرى في الأجزاء المتبقية من أذربيجان في ما بين القرنين (٤-٥هـ/١٠-١١م) وانتهى حكمهم على يد السلاجقة .

The Mosuli Binu Al-Rawad and Their Political Role in Azerbaijan during the Two Centuries(4^{th}-5^{th} / 10^{th}-11^{th} A.H.)

Lec. D. Mohamad Nazar Al-Dabbagh

Abstract

The current research has aimed into identifying the role of Binu Al-Rawad Alozdeih tribe who were originated from Mosul and migrated into Azerbaijan, founding one of the local families which has established its power in a certain part of Azerbaijan (located between Tabriz & Maragheh cities) a time when another states were establishing in the rest of the country during (4^{th}-5^{th} A.H. / 10^{th}-11^{th} A.D.), at the end they were decayed by the Seljuk.

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

المقدمة

يهدف البحث الى التعرف على دور فرع من قبيلة الازد العربية ممن ارتبط بأصل موصلي وبيان دورهم في إقليم أذربيجان[١] سيما أن أهمية البحث تنبع من عدم وجود دراسة حول هذا الموضوع وبالتحديد ما يتعلق بوجودهم في مدينة الموصل فضلاً عن قلة النصوص المتوفرة حول هذه الأسرة .

وان النص الذي استندنا عليه في تحديد أصلهم الموصلي هو ما جاء في الجزء الثاني من كتاب (تاريخ الموصل) لأبي زكريا يزيد بن محمد الأَزدي (ت:٣٣٤هـ/٩٤٥م) والذي يعد من أهم كتب التواريخ المحلية لمدينة الموصل وأغزرها مادة سيما وانه يعد قريب العهد بوجود الروادیين في الموصل قبل أن يغادروا الموصل الى أذربيجان، هذا من ناحية ومن جهة أخرى، فأن كتابه اهتم وركز على أخبار القبائل العربية التي سكنت الموصل وبيان أصولها وفروعها ورجالها ومنها قبيلته وأبناء جلدته وهم الأَزد والذين يتمثلون بفرع منهم بالروادیين، فجاءت محاولة الباحث للكشف عن أخبار هذه الأُسرة في الموصل ثم تأسيسها لإمارة محلية في أذربيجان بعد ذلك .

قسم البحث الى مبحثين، أُدرج المبحث الأول تحت عنوان: بنو الرواد، نَسب أَزدي وإنتماء موصلي، تناول فيه الباحث التعريف بإشتقاق مفردة الرواد ثم الحديث عن أصل وهجرة هذه الأسرة من البصرة في العراق وانتقالها الى الموصل والظروف التي دفعتهم الى الانتقال الى أذربيجان.

أما المبحث الثاني فحمل عنوان: الإمارة الرُوادية، التعريف بملوكها ودورهم السياسي في أذربيجان، اقتصرنا فيه على تناول دور أمراء هذه الأسرة من الجانب السياسي من خلال علاقاتهم ببعض الإمارات المجاورة لهم في أذربيجان بعد التعريف بشيء بسيط عنهم حتى انتهاء حكمهم على يد السلاجقة والحق البحث بخريطتين تمثل الأولى الخريطة السياسية لأقاليم جنوب القفقاس (أذربيجان وأرمينية وأران) وبلاد الجزيرة الفراتية والتي تشكل أذربيجان جزءاً منها، فضلاً عن خريطة ثانية وضحت توزيع الإمارات المحلية في أذربيجان ومنها الإمارة الروادية، فضلاً عن ملحق بأسماء الأمراء الروادیين وسنوات حكمهم.

ويدعوني واجب الوفاء الى تقديم الشكر الى الدكتور فراس غانم آل همت أغا، كلية الآداب/ جامعة الموصل الذي ارشد الباحث الى بعض المصادر المهمة التي أفادت البحث في الكلام عن المبحث الأول، فضلا عن مادة مترجمة من احد الكتب المتعلقة بالقبائل والأنساب والأُسر الحاكمة في التاريخ، كما أشكر الأستاذ المساعد الدكتورة ميسون ذنون العبايجي من مركز دراسات الموصل/جامعة الموصل التي قدمت للباحث مشكورة بحثها القيّم الموسوم (دور قبيلة الأَزد السياسي في الموصل في العصور الإسلامية المبكرة)الذي درس الدور السياسي لقبيلة الازد العربية في الموصل وتأثيره في المناطق المجاورة لها جغرافياً كمدن بلاد الجزيرة الفراتية، والشكر موصول للزميلة أمينة إبراهيم من مصر – جامعة الإسكندرية، كلية الاداب، قسم التاريخ التي زودت الباحث بكتابين لا يتوفران في العراق عن طريق المراسلة الالكترونية يتخللهما في جانب منهما مادة مهمة عن الدولة الروادية، والشكر موصول أيضاً الى الدكتور عمر أحمد سعيد، من جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم التاريخ الذي أعان الباحث ببعض المراجع والرسائل الجامعية حول موضوع الدراسة .

المبحث الأول: بنو الرواد، نسب أزدي وأنتماء موصلي

إن مفردة الرُوّاد مأخوذة **لغةً** من كلمة (الرَّودُ) وتعني الطَّلب ((كالرَّياد والإرتياد والذهاب والمجيء، والمُرودة والرِّواد والرِّيد بكسرهما ...وامرأةٌ رادةٌ، بلا همزٍ، ورُادة كثُمامةٍ ورائدةٌ : طوافةٌ في بيوت جاراتها وقد رَادت رَوداناً...))[٢]، في حين أنها جاءت **إصطلاحاً** تحت (الرَوّادي) هذه النسبة الى روّاد وهو اسم رجل من أجداد المنسب إليه، وبنو الرواد في الاصطلاح الانكليزي تكتب(**Binu Al-Rawad**)و(**DĪSRAWĀThe**)ومنها ايضاً اشتقت مفردة الروادیون (**Al-Rawādiyūn**)[٣].

ويرجع **نسب** بنو الرُوّاد العربي الى قبيلة الازد العربية اليمنية من التي شكلت جزءاً كبيراً من مجتمع الموصل في القرن (٤هـ/١٠م) حتى أن السري الرفاء الشاعر الموصلي الشهير (ت:٣٦٢هـ/٩٧٢م) امتدح أعلامها وشخصياتها وذكر شيئاً من أحوالها وكان معاصراً لأبي زكريا الأزدي، فعندما مدح سلامة بن فهد الأزدي وصفه بأنه مفخرة في قبيلته فقال :

زادَ الازدَ مأثرة فأضحى*لها في كلِّ مكرمةٍ نصيب**[٤]

ويرتفع نسب بنو الرواد الى مالك بن فهم بن غنم بن دوس ومن ولده معن بن مالك، وولد معن شرطان وولده مليح وولده صنيم ومنه الى مسعود بن عمرو بن الاشرف العتكي وكان يقال له قمر العراق لجماله وكان رأس الازد والذي قتلته بنو تميم بالبصرة،حينما كانت على حرب الازد وله عقب بتبريز من أذربيجان[٥]. ويرجح انه أبو عبدالله الحسن بن جابر الأزدي الذي ينسب الى أذربيجان من نسل ابن مسعود، وجابر هذا ينتهي إليه نسب العالم المهلب بن الأخطل بن المهلب بن **الرواد** بن عبدة بن أيوب بن (جابر) المتوفى سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م)[٦] وابن الرواد الذي ورد نسبه هنا بوصفه من أجداد المهلب ومن نسل جابر المتقدم هو الرواد بن المثنى الأزدي الذي نزل تبريز الى البَذّ والذي يعد جد بنو الرواد وإليه منتهاهم[٧]، وقد أنزلهم يزيد بن حاتم المهلبي الأزدي-العتكي[٨]-(عتيك الازد) على عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) وكان يزيد والي أذربيجان نقل اليمانية لأذربيجان من البصرة[٩] من خلال هذا النص يتبين أن اصل بنو الرواد عربي قديم يرجع الى حدود القرن (٢هـ/٨م) ومن منطقة البصرة تحديداً وان الرواد الذي يرجع إليه اصل البيت الروادي كان من ناقلة البصرة الى أذربيجان وسكن في المنطقة الممتدة من مدينة تبريز الى البذ.

و**انتماء** بنو الرواد لمدينة الموصل وسكناهم لها حدث منذ مدة طويلة ويؤيد ذلك ما ذكره الأزدي في نص يُعد غاية في الأهمية مما انفرد به إذ يبين لنا حقيقة وجود بنو الرواد في الموصل قال الأزدي : ((وممن قدم الموصل من إخوة سليمة معن بن مالك ومنازلهم بالموصل باب سنجار والمسجد الذي فيه مسجدهم ...ورجالهم مشهورون منهم مسعود بن عمرو ولهم ببني الثرثار خطط وضياع منها تل خوسا وذواتها ومنهم هناك بقية . وبنو الرواد كانوا بالموصل ومنها انتقلوا الى أذربيجان فغلبوا على كورة منها))[١٠] ونلاحظ من خلال النص أن محلة باب سنجار تعد من المحلات التي توطنت فيها بعض القبائل العربية التي تنسب إلى الازد وبخاصة الذين ينتمون إلى بني سليمة بن مالك بن فهم، حسب إشارة الأزدي عن هذه المحلة في حوادث سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) وحدد موقعها عند باب سنجار أحد أبواب السور وكان لسليمة مسجداً وباب سنجار في أيديهم وعلى الأرجح فان المنطقة ما بين تل كناس والشيخ فتحي التي تقع أمام الباب المذكور والمعروف (باب الميدان) غرب المدينة هو موقع المحلة المذكور، ويشير الديوه

جي إلى وجود تل يسمى (بتل عبادة) بالقرب من الباب المذكور يقع عليه المسجد المعروف بمسجد باب سنجار ويدعي أهل المحلة بأنه من أقدم المساجد[١١].

من خلال نص الأزدي نجد ما يوحي بأنه اسم لشخصية مشهورة ينتمي إليها بنو الرواد وهو مسعود بن عمرو وهو ما يؤكد وجودهم وانتمائهم للموصل، ثم الإشارة الصريحة للازدي بوجود بنو الرواد في المدينة، ذلك أن بنو سليمة وبنو معن حسب ابن حزم بطنين لدوس، والأخيرة بطن من الازد مما يتفق مع كلام الأزدي[١٢] ومما يؤكد وجودهم في الموصل نجده في إشارة أخرى للازدي بقوله: ((وأمر مالك بن فهم وولده طويل وأخبارهم كثيرة، وإنما ذكرت هاهنا من قدم منهم الموصل، وقد شرحت ما بلغني من أنسابهم وأخبارهم وخططهم، والأحرار والفرسان في الجاهلية منهم، ومن الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم والفقه والعلم والرواية في الإسلام في كتاب ترجمته: القبائل والخطط))[١٣] وهذا يبين بأن كتاب" تاريخ الموصل" لأبي زكريا الأَزدي يُعدُّ من أهم المصادر التاريخية التي زودتنا بأهم البطون والفروع الأَزدية التي سكنت الموصل كون أن الأَزدي ينتمي لهذه القبيلة، وهو اعرف بهم، لاسيما وان للازدي كتاب آخر خصصه للقبائل التي قدمت الموصل مع ذكر أخبارهم –وهو مفقود–، وهذا ما يوحي إليه عنوان الكتاب مما نجده في آخر النص حسب إشارة العبايجي[١٤] قبل أن يغادر بنو الرواد مدينة الموصل الى أذربيجان ويغلبوا على كورة منها وربما هي تبريز على الأرجح التي ستكون لاحقاً عاصمة لإمارتهم في أذربيجان، والدليل الأقرب للصحة على ما نرجحه في هذا الرأي هو إشارة ابن الأثير من أن لإبن الرواد (الرواد بن المثنى الأزدي) حصن آخر في أذربيجان يسمى تبريز[١٥] وكانت تبريز قرية حتى مجئ الرواد الأزدي (الرواد بن المثنى الأزدي) فبنى فيها هو وأسرته قصوراً وحصنها بسور فنزلها الناس معه[١٦].

وكانت هناك أسباب دفعت بنو الرواد الى الهجرة الى أذربيجان منها ضغط الإمارة الحمدانية (٣١٧-٣٩٩هـ/٩٢٩-١٠٠٩م) في الموصل وحصارها لهم فانتقلوا الى أذربيجان واستقروا في المناطق الجبلية الواقعة في الجهات الغربية في نهاية القرن (٣هـ/٩م) وبداية القرن (٤هـ/١٠م)[١٧] فضلاً عن ما يتمتع به إقليم أذربيجان من وفرة ورخص في الخيرات والمراعي والبساتين والغِلات والفاكهة وغيرها ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن حوقل في حق هذا الإقليم :((ولهذه الجبال–أذربيجان–ملوك وأصحاب لهم نِعم فخمة وضياع وقلاع نفيسة وخيول

وكُراع الى مدن مضافة إليهم، ونواحٍ ذات رساتيق وأقاليم عامرة كالمِلك لهم موفرة عليهم غلاتها ونعمها، وبهذه الجبال والنواحي والمدن والبقاع التي ذكرتها من الرخص والخصب والمراعي والمواشي والسوائم والخيرات والبركات والمشاجر والأنهار والفواكه الرطبة واليابسة والخشب على سائر ضروبه...وملوكها بها من سعة الأحوال وتمتعهم بالنعم والملاذ والتترف بالطيب والثياب...))[١٨] ولا ننسى أن ابن حوقل كان معاصراً لقيام الدولة الروادية وعاصر أول ملوكها الذي سماه محمد احمد الأزدي مما أنفرد به قال :((ومن اكبر من أدركت من ملوكها محمد بن احمد الأزدي))، وهو ذات الشخص والذي ذكره ابن خرداذبه بإسم ((محمد بن الرواد الأزدي)) والذي حكم مدن عديدة في كورة أذربيجان منها مراغة وميانج وأردبيل وورثان وسابرخاست وتبريز، مما يؤيد كلام ابن حوقل بأن هذا الملك كان من اكبر ملوك المنطقة لما يملكه من المدن والأعمال مما ذكره ابن خرداذبه[١٩] وتسميه بعض الدراسات المهتمة بتاريخ الأكراد بمحمد بن الحسين الأزدي الروادي أول ملوك الروادية مما اتفقت عليه اغلب الدراسات الحديثة[٢٠] ومن الأسباب الاخرى التي شجعت الرواديين على الهجرة الى أذربيجان هو حالة الفراغ السياسي الذي كانت عليه البلاد (أذربيجان) بعد ضعف الإمارة السلارية[٢١] إذ شهدت منطقة أذربيجان حالة جديدة اتسمت بتوسع وازدياد نفوذ بني الرواد وسيطرتهم على قسم من المنطقة[٢٢].

من خلال ما تقدم نجد أن بنو الرواد أو الروادیون[٢٣] حكام تبريز وأذربيجان كانوا ذوي اصل عربي ومن تلك الأسر العربية المتفرعة من قبيلة الازد اليمنية، وفي أوائل العصر العباسي عمل بعض أفراد هذه الأسرة حكاماً لتبريز -كما سبق ذكره-ثم ما لبثوا في القرن التالي أو نحوه أن تطبعوا تماما بالطابع الكردي بما في ذلك تسميتهم بأسماء مثل (مملان) والذي يمثل الصورة الكردية المحرفة للاسم العربي(محمد)[٢٤].

المبحث الثاني: الإمارة الرُوادية، التعريف بملوكها[٢٥] ودورهم السياسي في أذربيجان

مما يؤسف له أن المصادر التاريخية أغفلت ذكر النشأة الأولى للإمارة الروادية في أذربيجان ولم ينتبه المؤرخون لها إلا بعد أن ارتفع شأنها واستطاعت أن تلفت النظر لما كان لها من اثر في تغيير الواقع السياسي[٢٦] من خلال الدور السياسي الذي لعبه أمراؤها في المنطقة واستطاع الأوائل منهم ضم بعض أقسام أذربيجان من أراضٍ والمدن – مما سبق ذكره – وما

لبثت دولتهم أن سيطرت على كامل الأراضي الأذربيجانية فيما بعد، فظهرت الإمارة الروادية في القرن الرابع للهجرة/ القرن العاشر للميلاد[٢٧]، ودام حكمها أكثر من مائة سنة، للمدة من (٣٤٢-٤٦٣هـ/٩٥٣- ١٠٧٠م)[٢٨] وامتدت الرقعة الجغرافية للإمارة الروادية في أذربيجان من الحدود الجنوبية الغربية لبحر الخزر (بحر قزوين حالياً) شرقاً وحتى بحيرة أُورمية غرباً ومن نهر الرس وبلاد أران شمالاً حتى شمال إقليم الجبال وبحيرة المراغة جنوباً[٢٩].

واستطاع أول أمراء بنو الرواد ومؤسس الإمارة وهو محمد بن الحسين الأزدي الروادي من أن يضم بعض أراضي الإمارة السلارية (المسافرية) من أذربيجان مستغلاً فرصة أسر أميرها السلار المرزبان بن محمد المسافري (حكم من ٣٣٠-٣٤٦هـ/٩٤١-٩٥٧م) من قبل البويهيين (٣٣٤- ٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م) فضم تبريز واتخذها عاصمة[٣٠] بعد أن ضم اغلب أراضي الإمارة السلارية (المسافرية)[٣١].

وبعد وفاة محمد بن الحسين الأزدي الروادي تولى الحكم ابنه الأمير حسين بن محمد الروادي ووجه اهتمامه الى إعمار عاصمة الإمارة ونظم أحوالها وبنى أسوارها وقواها، وجمع حوله الأتباع والأنصار، وركز سلطته على العاصمة والمناطق المجاورة لها بسبب حالة الفوضى التي انتابت الإمارة السلارية (المسافرية) بعد وفاة أميرها السلار المرزبان بن محمد المسافري (٣٤٦هـ/٩٥٧م)[٣٢].

على أن الأمير الثالث وهو أبي الهيجاء محمد بن حسين بن محمد الروادي الملقب (مملان - الأول) يعد من اشهر أمراء الرواديين ولقب بأبي الهيجاء لكونه من الرجال الأشداء الذين خلقوا للحرب وخوض المعارك، وكان يتمتع بنفوذ وقوة كبيرين، إذ استطاع السيطرة على جميع مناطق أذربيجان بعد موت الأمير السلاري إبراهيم بن المرزبان والذي حكم من (٣٤٩-٣٨٠هـ/٩٦٠-٩٩٠م) وأسره للأمير الجديد للإمارة السلارية مرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان (حكم من ٣٨٠هـ- ؟ /٩٩٠م- ؟) حيث أودعه السجن وضم الى حكمه البلاد التي كان حكمها أيضاً[٣٣].

كما اشتهر الأمير أبو الهيجاء محمد بن حسين بن محمد الروادي (مملان الأول) بقيامه بحملتيه المشهورتين على الإمارات الارمنية المجاورة له والتي اتسمت بالصبغة الدينية الجهادية

على الأغلب، لا لغرض سياسي وأطماع في ضم أراضي جديدة بسبب تجاوز هذه الإمارات على الجوامع والمساجد[٣٤].

وخلفه في الحكم الأمير أبو نصر (ناصر) حسين بن محمد (حسين الثاني) ولا نجد من معلومات عنه سوى اسمه[٣٥]، دون معرفة ما وقع في عهده من أحداث على الصعيدين الداخلي والخارجي[٣٦].

وبعد موت الأمير أبو نصر حسين الثاني تولى أخوه الأمير –الخامس في الأسرة الروادية الحاكمة– أبو منصور وهسوذان بن محمد الذي وصل لسدة الحكم في الإمارة الروادية[٣٧] وعلى الرغم من قوة هذا الأمير وطول مدة حكمه التي ناهزت خمساً وثلاثين سنة[٣٨] إلا انه فقد سيطرته على بعض مدن إمارته وهي مدينة بركرى الواقعة في شمال شرق مدينة وان المتاخمة لبلاد الأرمن، إذ تمكن البيزنطيون من إحكام سيطرتهم على المدينة وعلى الرغم من محاولته لاسترجاع المدينة ولكن من دون جدوى بسبب قوة الدولة البيزنطية[٣٩].

وتمكن الأمير أبو منصور وهسوذان بن محمد من صد أول غزوة شنها عليه السلاجقة (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٤م)[٤٠] إذ انه عاصر بداية توليه الإمارة هجرة السلاجقة الى آسيا الصغرى وعلى خراسان وبلاد فارس وسيطرتهم عليها وتغلغلوا حتى وصلوا الى أذربيجان والمناطق المجاورة لها، لما كانوا يتصفون به من القوة والشجاعة، ونجحت محاولة الإمارة الروادية في طردهم خارج حدود إقليم أذربيجان سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م)[٤١].

وخلال تلك المدة ازدادت هجمات السلاجقة وتكررت غاراتهم على إقليم أذربيجان مما اضعف الإمارة الروادية فبدأوا بالسيطرة على المدن الواحدة تلو الاخرى، ومع استسلام آخر أمراء الروادبين أبو نصر مملان بن وهسوذان (مملان – الثاني)[٤٢] الذي حاول مقاومة المد السلجوقي على بلاده لكنه لم يستطع؛ فأصبح يحكم كنائب للسلاجقة حتى عام (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)[٤٣] وهو العام الذي عاد فيه السلطان ألب ارسلان بن طغرل بك (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٤-١٠٦٥م) من حملته على آسيا الصغرى (الأناضول) ثم قام عقب عودته بإقصاء أبو نصر مملان بن وهسوذان (مملان – الثاني)[٤٤] عن الحكم حيث سجنه السلاجقة مع أولاده وضموا إليهم إمارة الروادبين وبذلك انتهى حكم بنو الرواد على أذربيجان[٤٥].

الخاتمة

مثل بنو الرواد نموذجاً لأسرة ذات انتماء موصلي جسد نسبها الأزدي وجودها وعراقتها في الموصل كونها احد بطون قبيلة الازد العربية اليمانية وليس أدل على ذلك من شهادة المؤرخ الموصلي أبو زكريا الأزدي الذي ذكرها بنص صريح ضمن تعداده لبطون قبيلة الازد التي شكلت جزءا وشريحة مهمة من مجتمع الموصل في القرن (٤هـ/١٠م)، وكان لبنو الرواد الريادة في إدارة ولاية أذربيجان قبل قيام دولتهم فيها بوصف بعض رجالهم حكاماً لمدينة تبريز قاعدة أذربيجان بالنيابة عن الخلافة العباسية، ثم ما لبثوا أن هاجروا من الموصل الى أذربيجان واستطاعوا خلال قرن ونيف من الزمان أن يؤسسوا إمارة محلية شملت معظم أذربيجان بين القرنين (الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد)، ولعب أمراؤها دوراً سياسياً مهماً في تغيير الخارطة السياسية لأذربيجان بضم معظم أراضي الإمارة السلارية–المسافرية– وتوسعها على حساب هذه الإمارة، ولعب بعض أمرائها دوراً رئيساً في شن حملات على الإمارات الارمنية التي أخذت طابعاً جهادياً لتعديها على بيوت الله دون أن يكون لها أهداف سياسية بضم مدينة أو بقعة ارض، كما إن طبيعة الظروف التي عاشتها الإمارة الروادية لم تسمح لها بإقامة علاقات سياسية واسعة مع الإمارات الاسلامية المجاورة لها ذات الطابع الكردي مما تطبع به الروواديون والذي انعكس على أسماء أمراءهم مثل (مملان=محمد) بسبب اهتمام بنو الرواد بتثبيت دعائم حكمهم وإرساء قواعد إمارتهم لمجاورتهم للبيزنطيين والأرمن، وعلى الرغم من قوة بنو الرواد في أوائل القرن (الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد) إلا أن إماراتهم بدأ ينتابها الضعف بسبب غارات السلاجقة المتكررة حتى انتهى حكم الإمارة على أيديهم في سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

هوامش البحث

(١) هو أسم لإقليم واسع وحده من برذعة مشرقاً الى أرزنجان مغرباً ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل، ومن مدنه المشهورة تبريز وتمثل اكبر مدن الإقليم، ومَراغة وخُوَي وسَلمَاس وأُورمِيـة وأَردبيـل وغيرها. ينظر : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صـادر، ١٩٧٧)، ج١، ص١٢٨.وفيما يتعلق بالخريطة السياسية لبلاد القفقاس ومنهـا أذربيجـان ومـدنها وبـلاد الجزيرة الفراتية ومنها الموصل ينظر : الخريطة في آخر البحث .

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، قدم له وعلق حواشيه : أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، (ط٣،بيروت،دار الكتب العلمية،٢٠٠٩)،ص٣٠٨.

(٣) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق : عبدالله عمر البارودي، (ط١،بيروت،دار الجنائن،١٩٨٨)،ص٩٥؛ I.V.MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY , NEW LIGHT ON THE SHADDĀDIDS OF GANJA ,II.THE SHADDĀDIDS OF ANI, III.PREHISTORY OF SALADIN , (LONDON,TAYLOR'S FOREGIN PRESS,1953),p167, apstil(2)from the same page

(٤) أبو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي، ديوان السري الرفاء، تحقيق ودراسة : حبيب حسين الحسني، (بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١)، ج١، ص ٣٥٤ ؛ عبد الجبار حامد أحمد، مجتمع الموصل في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد من خلال شعر السري الرفّاء، مجلة آداب الرافدين، كلية الاداب، جامعة الموصل، العدد ٥٠، ٢٠٠٨، ص ٢٠٤، ٢١٢-٢١٣ .

(٥) هشام بن محمد بن السائب والمكنى بابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ص٢٠٠-٢٠٢ www.al-mustafa.com.pdf-001329 ؛أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، كتاب الاشتقاق،تحقيق وشرح : عبد السلام هارون،(ط٢ منقحة، بغداد،مكتبة المثنى، ١٩٧٩)، ص٣٣١،هامش(١)،ص٤٨٣ هامش(١)،ص ٥٠٢ ؛ أبو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،جمهرة أنساب العرب،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،(ط٧،القاهرة،دار المعارف،٢٠١٠)،ص٣٧٠،٢١٥-٣٧١، ٣٨١.

(٦) محمد بن احمد بن حبان، الثقاة، ج٩، ص٢٠٨ (رقمي) على الموقع الالكتروني : www.shiaonlinelibrary.com

(٧) البَذّ : كورة بين أذربيجان وآران . ينظر: ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٣٦١.

(٨) وهذه النسبة الى العتيك وهو بطن من الأَزد. ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الشيباني الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب،(بيروت، دار صادر،١٩٨٠)، ج٢، ص٣٢٢؛ ميسون ذنون العبايجي، دور قبيلة الأَزد السياسي في الموصل في العصور الإسلامية المبكرة، بحث مودع في أرشيف مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص١٢.

(٩) احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور، (ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢)، ج٢، ص٢٥٩.

(١٠) أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس بن القاسم الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، (القاهرة، ١٩٦٧)،ج٢، ص ٩٢؛ العبايجي، دور قبيلة الأزد السياسي في الموصل،ص٩.

(١١) فيان موفق رشيد محمد، خطط مدينة الموصل خلال العصور العربية الإسلامية،(١٦-٦٦٠هـ/٦٣٧-١٢٦١) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١م، ص٦٣،٣٩؛ سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، (بغداد، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٨٢)، ج١، ص٥٣. ؛ وتل خوسا: تل خوسا بفتح الخاء وسكون الواو والسين مهملة قرية قرب الزاب بين إربل والموصل. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،مج٢، ص٤١؛ العبايجي، دور قبيلة الأزد السياسي في الموصل،ص٩، هامش(٥٨).

(١٢) ينظر : جمهرة انساب العرب،ص٤٧٣.

(١٣) ينظر : تاريخ الموصل، ج٢، ص٩٦؛ ولمزيد من التفاصيل عن كتاب (القبائل والخطط) للأزدي ينظر: العبايجي، دور قبيلة الأزد السياسي في الموصل، ص١-٢؛

PaulL G. Forand : The Governors of Mosul according to Al-Azdi's Ta'rikh Al-Mawsil,(Journal of the American Oriental Society), Vol. 89, No. 1 (Jan. - Mar., 1969),P.88

والبحث على موقع المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني:

www.ivsl.org

(١٤) ينظر : دور قبيلة الأزد السياسي في الموصل،ص٧.

(١٥) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، نشر : كارلوس جوهانس تورنبيرغ، (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧١)، ج٦، ص٣١٥؛ محمد صادق محمد الكرباسي، الإسلام في أذربيجان، إعداد : لطيف بن عاكف لطيف، (ط١،بيروت،بيت العلم للنابهين،٢٠٠٣)،ص٤٢،هامش(١)،ص٤٣،هامش(١).

(١٦) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٦٦)، ص ٢٣٦؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، نقله الى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (ط٢،بيروت،مؤسسة الرسالة،١٩٨٥)،ص١٩٥-١٩٦.

(١٧) عماد كامل مرعي آل ظاهر اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس دراسة سياسية (٢٤٧-٤٦٨هـ/٨٦١-١٠٧٥م)،أطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية الاداب،جامعة الموصل،٢٠٠٨،ص٨٤.

(١٨) أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي النصيبي المعروف بابن حوقل، كتاب صورة الأرض، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت)، ص ٢٩٨.

(١٩) قارن : ابن حوقل، كتاب صورة الأرض،ص٢٩٩؛ أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه،المسالك والممالك، ويليه نبذة من كتاب الخراج لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي،(ليدن،مطبعة بريل،١٨٨٩)،ص١١٩.

(٢٠) اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس،ص٨٣؛ عماد كامل مرعي آل ظاهر اللهيبي،دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ٧،العدد٣، ٢٠١٢، ص ٣؛ MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p167.

(٢١) سميت (السلارية أو السالارية أو المسافرية) والتي حكمت قسما من أذربيجان من (٣٣٠-٥١١هـ/٩٤١-١١١٧م) ينظر : احمد عبد العزيز محمود، الإمارة الهذبانية الكردية في أذربيجان واربيل والجزيرة الفراتية، (ط٢، اربيل،مكتب التفسير للنشر والإعلان، ٢٠٠٦)،ص٧٣.

(٢٢) محمود، الإمارة الهذبانية الكردية في أذربيجان، ص ٧٣.

(٢٣) MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p.167,apstil(2)from the same page

(٢٤) كليفورد . أ . بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (دراسة في التاريخ والأنساب)، ترجمة : حسين علي البودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، (ط٢،الكويت ومصر، مؤسسة الشراع بالاشتراك مع مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،١٩٩٥)،ص١٣٦؛ احمد بن لطف الله منجم باشي، باب في الشدادية من كتاب جامع الدول (الذي استند فيه على تاريخ قديم أُلف حوالي سنة ٥٠٠هـ.)،عني بتحقيقه ونشره: فلاديمير.أ. مينورسكي،عن مخطوطة طوب قابي سراي-تركيا برقم ٢٩٥١،(لندن،١٩٥٨) تحت عنوانSTUDIES IN CAUCASIAN HISTORYوالمنشور ملحقاً بآخر كتاب(THE ARABIC TEXT OF THE CHAPTER ON THE SHADDĀDIDS FROM MÜNNEJJIM-BASHĪ'S DUWAL AL-ISLĀM(TOP-KAPĪ SARAYĪ MS.2951)

دعاء محمود محمد يوسف المهدي، الإمارات الكردية وعلاقاتها بالقوى السياسية في بلاد العراق والشام في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص٤٠.

(٢٥) حول أسماء أمراء بنو الرواد (الروادیون) وسني حكمهم ينظر الجدول الملحق بآخر البحث .

(٢٦) المهدي، الإمارات الكردية وعلاقاتها بالقوى السياسية في بلاد العراق والشام، ص ٣٩؛ عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى- القسم الحضاري-،(ط٢،اربيل، دار ئاراس للطبعة والنشر، ٢٠٠١)،ج٢، ص٦٦-٦٧؛ حسام الدين علي غالب النقشبندي، أذربيجان دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الاداب،جامعة بغداد،١٩٨٤،ص١٥٠.

(٢٧) قادر محمد حسن، الإمارات الكردية في العهد البويهي دراسة في علاقاتها السياسية والاقتصادية(٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)،(ط١،اربيل،مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر،٢٠١١)، ص٣٦؛ جمال رشيد احمد، لقاء الأسلاف الكرد واللان في بلاد الباب وشيروان، (ط٢،لندن،رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤)، ص ٢١٢.

(٢٨) اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس،ص٨٣.

(٢٩) راجع حول الحدود الجغرافية للإمارة الروادية، الخريطة السياسية لبلاد القفقاس ومنها أذربيجان وبلاد الجزيرة الفراتية وقاعدتها الموصل في آخر البحث .

(٣٠) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض،ص٢٩٩؛ ابن خرداذبه،المسالك والممالك،ص١١٩؛ أحمد،لقاء الأسلاف الكرد واللان،ص٢١٣؛ يوسف، الدولة الدوستكية،ج٢،ص٦٥.

(٣١) محمود إسماعيل، مختصر تاريخ أذربيجان، ترجمة : رفيق عليوف ورامز مرسالوف، ضبط : نزار أباضة، (ط١، دبي،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،باكو،مركز الدراسات الاسلامية، ١٩٩٥)،ص٣٢.

(٣٢) MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p.168 ؛ اللهيبي،، دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس، ص٣؛زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه : زكي محمد حسن بك و حسن احمد محمود،اشترك في ترجمة بعض فصوله : سيدة إسماعيل كاشف وحافظ احمد حمدي واحمد ممدوح حمدي، (القاهرة،١٩٥١)،ج٢،ص٢٧٥.

(٣٣) محمود، الإمارة الهذبانية الكردية في أذربيجان، ص١٠٠،هامش(٧٥)؛ اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس، ص٨٤ ؛ أحمد، لقاء الأسلاف الكرد واللان، ص٢١٣؛

MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p.168

(٣٤) اللهيبي،، دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس، ص٣-٤.

(٣٥) MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p.168

(٣٦) اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس، ص٨٤؛ اللهيبي، دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس، ص٤.

(٣٧) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج٢،ص٢٧٦؛ بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٣٦.

(٣٨) أحمد، لقاء الأسلاف الكرد واللان، ص٢١٣.

(٣٩) اللهيبي،، دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس، ص٥.

(٤٠) بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٣٦.

(٤١) إسماعيل، مختصر تاريخ أذربيجان،ص٣٣؛ اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس، ص٨٤.

(٤٢) محمود، الإمارة الهذبانية الكردية في أذربيجان، ص٧٤؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج٢،ص٢٧٦؛ MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p.168-169

(٤٣) بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٣٦.

(٤٤) MINORSKY ,STUDIES IN CAUCASIAN HISTORY ,p. 169 ؛ بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٣٦.

(٤٥) اللهيبي، دور الأكراد في حماية المسلمين في بلاد القفقاس، ص٤.

الخريطة السياسية لبلاد القفقاس ومنها أذربيجان وبلاد الجزيرة الفراتية وقاعدتها الموصل

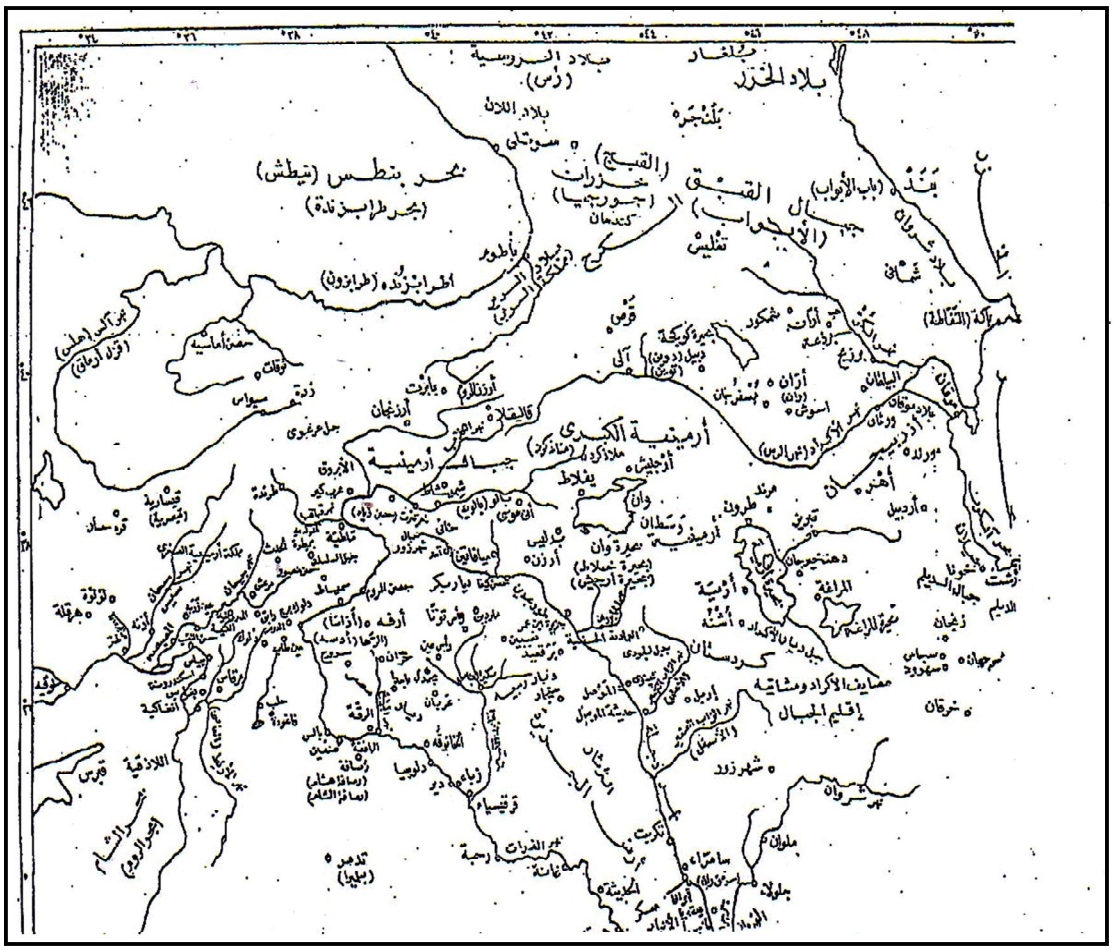

نقلا عن : اللهيبي، الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس، ص ١٦٧.

أسماء أمراء بنو الرواد (الروواديون) وسني حكمهم

ت	أسم الأمير الحاكم	سنوات حكمه
١	محمد بن الحسين الأزدي الروادي	(ـــــ-٣٤٢هـ/ـــــ-٩٥٣م)
٢	حسين بن محمد الروادي	(٣٤٢-٣٧٨هـ/٩٥٣-٩٨٨م)
٣	أبي الهيجاء محمد بن حسين بن محمد الملقب(مملان - الاول)	(٣٨٧-٣٩١هـ/٩٨٨-١٠٠٠م)
٤	أبو نصر(ناصر) حسين بن محمد(حسين الثاني)	(٣٩١-٤١٦هـ/١٠٠٠-١٠٢٥م)
٥	أبو منصور وهسوذان بن محمد	(٤١٦-٤٥٠هـ/١٠٢٥-١٠٥٨م)
٦	أبو نصر مملان بن وهسوذان(مملان - الثاني)	(٤٥٠-٤٦٣هـ/١٠٥٨-١٠٧٠م)

الجدول من عمل الباحث بتصرف نقلا عن:اللهيبي،الإمارات الاسلامية في بلاد القفقاس،ص١٦٦؛ كليفورد . أ . بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص١٣٦؛ أحمد،لقاء الأسلاف الكرد واللان،ص٢١٢.

خريطة تبين حدود الإمارة الروادية والإمارات المحلية المجاورة لها في إقليم أذربيجان

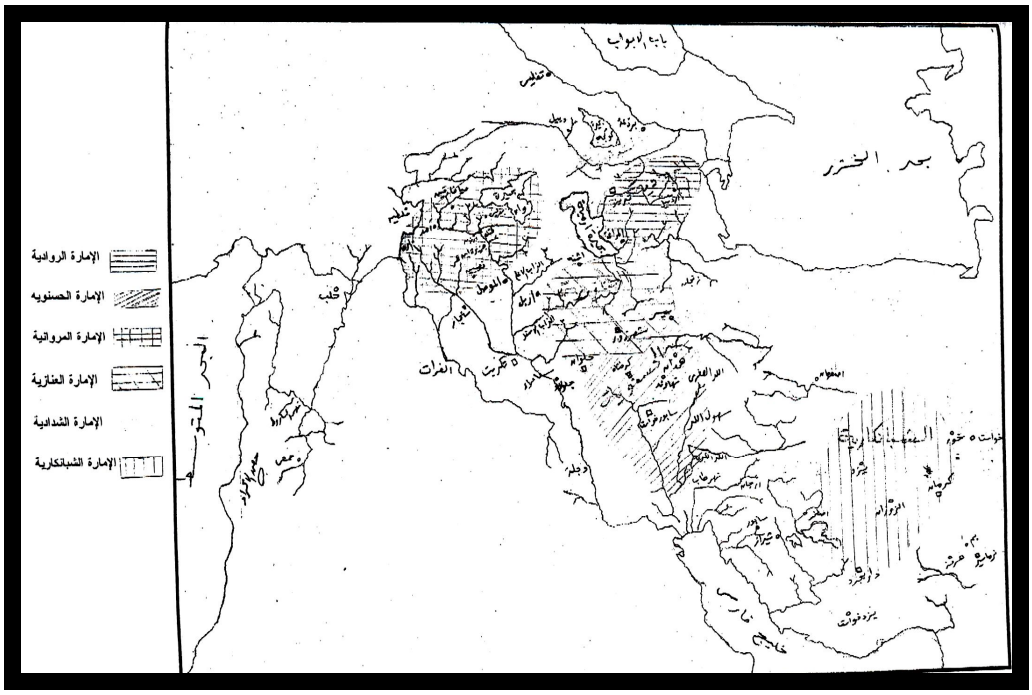

نقلا عن : المهدي، الإمارات الكردية وعلاقاتها بالقوى السياسية في بلاد العراق والشام، ص١٩٣.

الإمارة الحمدانية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين[1]
(٣٣٤-٣٨٠هـ/٩٤٥-٩٩٠م)

م. د. عمر أحمد سعيد*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٤/٢٤
تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث

ظهرت في الموصل إمارة عربية وهي الإمارة الحمدانية وامتازت بقوتها ودورها الفعال في التصدي للبويهيين، الذين دخلوا العراق وسيطروا على بغداد في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وأصبحوا حكاما وبيدهم مقاليد الحكم، ودفعهم ذلك إلى الاصطدام بالإمارة الحمدانية في الموصل، وهذا ما أدى إلى احتدام الصراع بين الطرفين، فلعبت هذه الإمارة دوراً بارزاً في مجابهة السلطة البويهية.

قسم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، شمل المبحث الأول الإمارة الحمدانية وظهورها على مسرح الأحداث السياسية حتى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، أما المبحث الثاني فتضمن الإمارة الحمدانية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين من سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) إلى (سنة٣٨٠هـ/٩٩٠م). أما الخاتمة فكانت النتائج التي توصل لها البحث. فضلا عن الملاحق التي بينت مخطط بنسب الحمدانيين وأيضا جدولا بأسماء الأمراء الحمدانيين ومن عاصروهم من الأمراء البويهيين. وكانت الخارطة إيضاحا بحدود الإمارتين الحمدانية والبويهية.

Hamdania Emirate in Mosul and its role to con Front Buyhids

(334-380 AH / 945-990 AD)

Lect. Dr. Omar A. Saied

Abstract

Emirates appeared in Iraq, namely, in Mosul and one of them is Al-Hamdania Emirate which undertook facing the Buwayhins because they dominated Mosul after they passed through Baghdad in (334A.H./ 945B.C.)and became rulers and their hands the reins of power, and push

* مدرس، قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة الموصل.

them to the collision forces and local, including Ahamdaon in Mosul, and this is what led to the intensification of the conflict between the parties, Ahamdaon he played a prominent role in confronting power Albuehih.

The study included twoaxes, including the first axis assets Hamdania and Albuehih, while the second axis was Zhorahamdanyen and Buyids as a military and political terms dealt Ahamdaon.The Mahoraliii guarantees the relations Hamdania Albuehih where the overall relationship is not fixed, because I knew the relations between the Hamdanis and Buyids courtship and the convergence of sympathy, then the spacing and separation and wars.

المقدمة

شهدت مدينة الموصل العديد من النزاعات والحروب التي حدثت بين الإمارة الحمدانية (٢٩٢-٣٨٠هـ/٩٠٥-٩٩٠م) والبويهيين الذين جاؤوا من إقليم فار س إلى العراق في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وسيطروا على بغداد واستحوذوا على مقدرات الخلافة العباسية، وأصبح الخليفة العباسي تحت سيطرتهم، فجعلت منه أشبه برمز من دون سلطان حقيقي، أما السلطة الفعلية فقد كانت بيدهم، ولم يكتفوا بذلك بل وجهوا أنظارهم نحو الموصل وأرادوا السيطرة عليها والتدخل بشؤونها. وأدى هذا الأمر إلى استياء الإمارة الحمدانية في الموصل التي أخذت على عاتقها التصدي لهم ومحاربتهم.

كانت للإمارة الحمدانية الدور المهم في الحفاظ على كيانها في الموصل والوقوف بوجه البويهيين الذين اولوا اهتماماً خاصاً بالموصل وكانت غايتهم من ذلك تحقيق هدفين، الأول سياسي من أجل توسيع حدود دولتهم بعد أن سيطروا على إقليم فارس وإقليم الجبال وبغداد والاحواز، لذلك فكروا بضم الموصل إلى ممتلكاتهم. أما الهدف الثاني فكان اقتصادي. وذلك لموقع الموصل التجاري من خلال وقوعها على طرق الموصلات وربطها بين أقاليم عدة قد جعلها تمتاز بأهمية تجاريه فضلاً عن مواردها الاقتصادية بحكم ما تصدره من بضائع اشتهرت، فظهرت رغبة عند البويهيين في الحصول على نصيب وافر من تجارة الموصل وخيراتها. فالسيطرة على الموصل كانت في أكثر صورها شكلية وغير مستقرة، بسبب قوة الأمراء الحمدانيون من جهة و دور أهالي الموصل في الدفاع عن المدينة من جهة أخرى.

وعلى الرغم من وجود دراسات عالجت الفترة الحمدانية أمثال: فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب و محمد سهيل طقوش: تأريخ الطولونيين والاخشيديين والحمدانيين

وأحمد عدوان: تأريخ الدولة الحمدانية، غير هذه الدراسات كانت شاملة للعصر الحمداني من قبل الإسلام وحتى نهاية هذا العصر، ولم ياخذ صراعات الحمدانيون مع البويهيين حيزا واسعا لاسيما انهم تناولو هذه الصراعات بصورة مختصرة ولم يفصلو كل إمارة في عهد الأمراء الحمدانيين ودورهم في التصدي للبويهين لامن حيث العنوان ولامن حيت المعلومات. لهذا لملمت هذه الجزئيات وتوسعت بشكل تفصيلي.

المبحث الأول:الأمارة الحمدانية وظهورها على مسرح الأحداث السياسية حتى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)

ينتسب الحمدانيون إلى جدهم أبي العباس حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن تغلب التغلبي[٢]. وبنو حمدان بطن من بني تغلب بن وائل العربية العدنانية[٣]، وهي من القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية ولاسيما في الحرب التي وقعت بينها وبين بكر بن وائل وهي حرب البسوس في القرن الخامس للميلاد[٤]. فكان بنو حمدان من أهل ديار ربيعة بالجزيرة وفيها نشأوا وأقاموا إمارتهم[٥].

كان لحمدان بن حمدون ثمانية أبناء شجعان لعبوا دوراً مهماً في عهد الخلافة العباسية وهم : أبو الهيجاء عبد الله الذي كان لديه ولدين الأول الحسين ناصر الدولة وهو مؤسس فرع الإمارة الحمدانية في الموصل، والثاني علي سيف الدولة مؤسس الإمارة الحمدانية في حلب، وأبو إسحاق إبراهيم، وأبو العلاء سعيد والد أبي فراس، وأبو الوليد سليمان الحرون، وأبو السرايا نصر، وعلي، وأبو علي الحسين، وأبو سليمان داؤد المزرفن[٦].

وبدأ دورهم السياسي يبرز في عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) في إقليم الجزيرة الفراتية عندما وقفوا إلى جانب الخوارج وجرت بينهم وبين الخلافة حروب انتهت بأسر حمدان بن حمدون في سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) ثم عفا الخليفة عنه وأطلق سراحه بعد أن انتصر ابنه الحسين بن حمدان على هارون الشاري زعيم الخوارج وأرسله إلى الخليفة المعتضد بالله الذي أمر بإعدامه[٧]. أما في خلافة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م) فقد أعطى ولاية الموصل لأبي الهيجاء عبد الله بن حمدون في سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م) وجعله عاملاً على الموصل[٨]، لجهوده في القضاء على تمرد الحسين بن زكريا القرمطي في سنة

(٢٩٠هـ/٩٠٣م)[٩]، وجهوده في قيادة الحمدانيين في مساندة الخليفة المكتفي بالله في حربه مع الطولونيين ولاة مصر، فانتصر عليهم ودخل مصر وعرض الخليفة المكتفي بالله على حمدان ولاية مصر لكنه رفض[١٠]، فقلده ولاية الموصل، وولى إبراهيم ديار ربيعة في سنة (٣٠٧هـ/٩٢٠م)، وقلد سعيد حكم نهاوند سنة (٣١٢هـ/٩٢٥م) واسند بعض المناصب إلى غيرهم من بني حمدان[١١].

فرحل أبو الهيجاء إلى الموصل ودخلها في المحرم من سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م)، وكان ذلك بداية حكم الحمدانيين هناك[١٢]. وفي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) قُتل أبو الهيجاء[١٣]، وقِلدَ الخليفة المقتدربالله (٢٩٥-٣٢٥هـ/٩٠٨-٩٣٦م) الحسين بن عبدالله (ناصر الدولة) حكم الموصل بدلاً من والده، لكنه نزل بها في سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) وعهد بحكمها إلى عميه أبي العلاء سعيد وأبي السرايا نصر، أما الحسين بن عبد الله فتولى حكم ديار ربيعة، ونصيبين، وسنجار، والخابور، ورأس العين، وميافارقين، وأرزن[١٤] مقابل ما يدفعه للخلافة في كل سنة على سبيل الضمان[١٥].

في سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م) تدهورت العلاقة بين الحمدانيين والخلافة العباسية بسبب تأخر الحسين بن عبد الله عن دفع المال المقرر عليه، فتوجه الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) إلى الموصل لمحاربته فخاف على نفسه وأرسل إلى الخليفة بقبوله دفع الضمان لكن الخليفة رفض ذلك، ودخل الخليفة الموصل ووصلها في غرة صفر من السنة نفسها. وبعدها تم الصلح بين الخليفة والحسين بن عبد الله[١٦].

وفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) لقب الخليفة المتقي لله (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤١-٩٤٤م) الحسين بن عبد الله بـ (ناصر الدولة) وجعله أميراً للأمراء وذلك لجهوده في إحباط مؤامرة الوزير ابن رائق لقتل الخليفة، أما أخوه علي بن عبد الله فلقب بـ (سيف الدولة) لجهوده في طرد البريديين[١٧] في سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م)[١٨]. وهذان اللقبان لهما دلالتهما، فأنهما يدلان على اعتراف الخلافة العباسية بالدور العظيم الذي قام به الحمدانيون في خدمة الدولة، ثم عملت الخلافة فيما بعد على إطلاق مثل هذه الألقاب على من يؤدون خدمات لها وللعالم الإسلامي[١٩].

ولما تولى ناصر الدولة إمرة الأمراء استقر في بغداد وبدأ بممارسة أعماله وسلطاته الواسعة، لكنه عُزل عن هذا المنصب في شعبان من سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) وكانت مدة توليه له ثلاثة عشر شهراً[٢٠].

تدهورت الأمور في بغداد بين الجهات المتصارعة، حتى طلب الخليفة المتقي لله المساعدة من الحمدانيين بعد أن ترك بغداد، فاستقبلته القوات الحمدانية في تكريت، وسارت معه إلى الموصل في سنة (٣٣٣هـ/٩٤٣م)، ولاحقهم توزون[٢١] ودخلوا في قتال وحروب، خسر بها الحمدانيون الموصل وانسحبوا إلى نصيبين، إلا أن هذا لم يدم طويلاً، اذ وقع الاتفاق على عودة الحمدانيين إلى الموصل، وعقد لناصر الدولة على ما بيده من البلاد ولمدة ثلاث سنين مقابل (٣,٦٠٠,٠٠٠) درهم سنوياً، فعاد توزون إلى بغداد وإقام الخليفة في الرقة[٢٢].

المبحث الثاني : الإمارة الحمدانية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين

(٣٣٤-٣٨٠هـ/٩٤٥-٩٩٠م)

كانت علاقة الإمارة الحمدانية بالسلطة البويهية متذبذبة، وشهدت تودداً وتقارباً واستعطافاً، ثم تباعداً وفراقاً وحروباً[٢٣].

أولا:الإمارة الحمدانية في عهد ناصر الدولة الحمداني وموقفها من الأمير معز الدولة البويهي (٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٦م):

في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) اصطدم الحمدانيون مع البويهيين بقيادة معز الدولة لأن الأخير دخل بغداد واستولى عليها واستحوذ على مقدرات الخلافة وأساء للخليفة المستكفي بالله وعمد إلى خلعه[٢٤]. إذ قرر الحمدانيون بقيادة ناصر الدولة السير إلى بغداد لنصرة الخليفة[٢٥]، كما أن العامة فيها قد شجعوه على دخولها وساندوه ضد الوجود البويهي[٢٦]. فضلاً عن أن البويهيين ساءت علاقتهم مع الحمدانيين لأنهم عمدوا إلى الحد من نفوذهم وتأثيرهم[٢٧]. كما إنهم أقلقوا البويهيين ونغص فيهم زهو الانتصار[٢٨]، ولاسيما بعد أن لعبوا دوراً في الأحداث على المسرح السياسي في العراق والأقاليم المجاورة، من خلال إثبات ثقلهم أمام القوى المتصارعة للاستحواذ على العراق والسيطرة على الخلافة، وقد حجموا دور القادة الترك وطردوا البريديين

وأخروا دخول البويهيين إلى بغداد حين تمكن ناصر الدولة من السيطرة على زمام الأمور في العاصمة بموافقة الخليفة المتقي لله[٢٩].

وكان معز الدولة ينظر إلى أقاليم فارس والجبال وكرمان يجده تحت سلطته وسلطة إخوته وينظر إلى الموصل فيجد فيها إمارة عربية – حمدانية – رابضة تشكل خطراً عليه وفي نشوة النصر يواصل الزحف على الموصل للقضاء على ناصر الدولة[٣٠]. كما أدرك معز الدولة نية ناصر الدولة الحمداني في إعلان استقلال الجزيرة الفراتية ولاسيما إنه واجه السلطة البويهية في بغداد بقرار منع إرسال الأموال المقررة على البلدان التي بيده[٣١]، ((والتمس معز الدولة من ناصر الدولة أن يحمل إليه المال فامتنع ناصر الدولة أن يحمل إليه من المال شيئاً))[٣٢]. وهو ما دل على رفض الاعتراف بانتقال السلطة المركزية في بغداد إلى الأمير البويهي. وكان هذا القرار بمثابة اشعال نار الحرب بين الحمدانيين والبويهيين، كادت أن تقوض الوجود البويهي في العراق نهائياً في سنة الغزو ذاتها[٣٣].

في شهر رجب من هذه السنة أرسل معز الدولة جيشاً إلى الموصل بقيادة كل من قادته ينال كوشه وموسى فياذة، حيث خرج ناصر الدولة منها على رأس قوة عسكرية والتقى الطرفان في عُكبرا، فتمكن ناصر الدولة الحمداني من الهجوم على بغداد فأقام بها[٣٤]، عندها خرج معز الدولة إلى تكريت فنهبها لأنها كانت تابعة لناصر الدولة، تم توجه إلى بغداد، فكان ناصر الدولة في الجانب الشرقي ومعه الترك وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان وكان قائداً لجيش ناصر الدولة، أما معز الدولة فكان في الجانب الغربي[٣٥]، وقد كانت بغداد مسرحاً للنزاع، وهنا أعلن ناصر الدولة خلع المطيع واسقاط اسمه من الخطبة[٣٦]، وكان هذا العمل بالغ الخطورة، لأنه يعني ازالة مظاهر الاعتراف بالخلافة العباسية[٣٧]. ولاشك في أن ما فعله ناصر الدولة الحمداني بالخلافة العباسية، يعد جرأة، فقد أزال مظهراً من مظاهر الاعتراف بالخلافة العباسية، وهما السكة والخطبة، وقد شجعه على ذلك وقوف العامة في بغداد إلى جانبه وكرهها للبويهيين[٣٨]. وان هدفه لم يكن الغاء الخلافة العباسية، وإنما قام بعمله هذا لخروج الخليفة المطيع لله مع جيش البويهيين. إذ قام بمنع التعامل بالدنانير والدراهم التي تحمل اسم المطيع، لكنه ضرب دنانير ودراهم عليها اسم الخليفة المتقي لله، وناصر الدولة[٣٩]. وعبر عمله هذا عن الحذر من توظيف البويهيين شرعية الخلافة لعملية تعبئة مضادة[٤٠]. إذ صار ناصر الدولة صاحب الكلمة في الدولة العباسية، أما معز الدولة فكان في ضعف وانهزام[٤١]. وفرض ناصر الدولة حصاراً على الجيش البويهي ولاسيما في الجانب الغربي من بغداد ومنع عنه الميرة

الجيش البويهي ولاسيما في الجانب الغربي من بغداد ومنع عنه الميرة والعلف[٤٢]. وقد فسدت الأقوات وغلت الأسعار وأصبح سعر الرطل (=١٣٠درهم) من الخبز بدرهم وربع[٤٣]. وسعر الكر (=٢٩٢٥كغم) الواحد من القمح بـ (١٠) آلاف درهم[٤٤]. حيث أثر ذلك على المقيمين في الجانب الغربي من بغداد وأدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية فيه، في حين عاش ناصر الدولة وكافة من سكن في الجانب الشرقي حياة طبيعية وأسعار معتدلة لتأمين وصول الميرة من الموصل، وقد كان سعر الخبز في هذا الجانب خمسة أرطال بدرهم واحد[٤٥]. وبيع على معز الدولة عندما كان محاصراً في هذا الجانب كراً معدلاً حنطة بمبلغ قدره (٢٠) ألف درهم وقال : ((ولم أخرج الغلة حتى تسلمت المال، وجعل في داري ثم أخرجت الغلة فأكتالوها وأخذوها))[٤٦]، وأثر ذلك على الجيش البويهي حتى أراد معز الدولة ترك بغداد والرحيل نحو الاحواز[٤٧]. غير أن مجرى الأحداث تغير، فعمد معز الدولة إلى مغامرة عسكرية جريئة بالهجوم عن طريق النهر عبر معابر وزوارق أعدها لذلك للسيطرة على الجانب الشرقي من بغداد، فإذا فشل هجومه – ينسحب إلى الاحواز جملة من الديلم في السفن معهم بوقات ودبادب وجعلهم في مواضع كثيرة من الشارع إلى الجانب الشرقي، نجحت الخطة وسيطر على الجانب الشرقي وانسحبت القوات الحمدانية إلى خارج بغداد[٤٨]، وانهزم بنو حمدان ((وتبعهم الديلم إلى قريب من الديلم، ورجعوا إلى بغداد، واستوفى الأمر ببغداد لأحمد بن بويه، فشرع في عمارة البلد وبنيان ما وهي منه))[٤٩]. وكانت نتائج هذه الحرب سيئة على العامة، قد نكل بهم البويهيون بسبب وقوفهم إلى جانب الحمدانيين واحرقوا العديد من منازلهم بعد نهبها، وقتلوا أعداداً كبيرة منهم وقد مات الاطفال والرجال والنساء، وهرب بعضهم خوفاً من بطش الجند الديالمة إلى عُكبرا فماتوا في الطريق[٥٠].

ولم يكن بمقدور البويهيين ملاحقة الحمدانيين، فإن ناصر الدولة بعد مغادرته وإقامته في عكبرا راسله معز الدولة طالباً منه الصلح فتم توقيع معاهدة بين الاثنين في سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م) تقرر فيها أن يمتد حكم ناصر الدولة من تكريت وما يليها شمالاً (أي الجزيرة الفراتية) يضاف إلى ذلك مصر والشام، على أن لايرسل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً من المال، وأن يرسل الميرة إلى بغداد ولاتؤخذ منها الضريبة[٥١]. وهكذا فإن ناصر الدولة كان قد

حقق أكثر من الهدف الذي حارب من أجله وهو عدم إرسال الأموال إلى البويهيين. فقد توسعت إمارته حتى أصبحت تشمل الجزيرة ومصر والشام.

أما بالنسبة لموقف معز الدولة، فإنه قد اعترف بعد المعاهدة بالنفوذ الحمداني، هو قصد توطيد علاقته معهم من أجل الحصول على الأموال بسبب الضائقة المالية[٥٢] التي كان يمر بها، كما كانت غايته من ذلك العمل على استقرار الأوضاع في الموصل والجزيرة، لذلك نراه عمل على مساعدة ناصر الدولة لما تمرد عليه الترك سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م) [٥٣]. وفي أواخر هذه السنة استغل ناصرالدولة فرصة انشغال معز الدولة في حربه مع البريديين، فعمد إلى تأخير الأموال المقررة عليه إرسالها، أرسل إليه معز الدولة كتاباً يهدده بالتوجه إلى الموصل والقضاء عليه، وبعد مراسلات عقد بينهما الصلح في سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م)[٥٤]. ولكن ناصر الدولة نقض الصلح وامتنع عن إرسال الأموال فعاد الخلاف بينهما مرة ثانية، عندها قرر معز الدولة الذهاب إلى الموصل، ودخلها وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين وراسل معز الدولة بالصلح، لكن الأخير رفض ذلك وغرضه القضاء على الوجود الحمداني وإزالة نفوذه، لكن وصول كتاب من عمه ركن الدولة أمير الري (٣٢٢-٣٦٦هـ/٩٣٣-٩٧٦م) يطلب فيه المساعدة ضد السامانيين الذين أغاروا على الري، لذلك وخوفاً على الوجود البويهي في المشرق اضطر إلى عقد الصلح مع ناصر الدولة وضمن له أعماله وأعمال أخيه سيف الدولة – أي الموصل والجزيرة كلها والشام – بـ (٨) آلاف ألف درهم سنوياً وأن يقيم ناصر الدولة الدعوة لعماد الدولة أمير الأمراء في شيراز (٣٢٢-٣٣٨هـ/٩٣٣-٩٤٩م) ولركن الدولة ومعز الدولة، ولعدم ثقته بناصر الدولة فقد أخذ معز الدولة ابنيه الفضل والحسين رهينة عنده وعاد إلى بغداد وكان ذلك في سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م)[٥٥]، وبذلك أصبح ناصر الدولة مجرد تابع للسلطة البويهية على حين كان بإمكانه أن يقف نداً لهم لو أحسن التصرف[٥٦]. وأصبحت حلب بموجب هذه المعاهدة أيضاً تابعة للسلطة البويهية، كما أن إقامة الحمدانيين الخطبة للبويهيين كان يعني اعترافهم بالوجود البويهي وتبعتهم لهم[٥٧]. وفي الحقبة الممتدة من سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) وحتى سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) لم نرَ أي محاولة بويهية للاستحواذ على أي موقع من مناطق النفوذ الحمداني، وهذا ما يؤكد استقرار العلاقة بين الطرفين.

وبقى الصلح مستمراً حتى سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) وعندها استغل ناصر الدولة فرصة تمرد روزبهان، أحد قادة الجند، على معز الدولة وانشغال الأخير في قتاله، إذ نجد في هذه السنة

محاولة حمدانية لازالة الوجود البويهي عن بغداد[٥٨]، إذ عدَّ ناصر الدولة ذلك وقتاً مناسباً لإزاحة البويهيين وطردهم من بغداد[٥٩]، فأعد جيشاً لذلك واعطى قيادته لابنه أبي المرجى جابر وأمره بالسير إلى بغداد وتخليصها من التسلط البويهي [٦٠]. إلا أن وصول خبر هزيمة روزبهان إلى الحمدانيين وعودة معز الدولة إلى بغداد اضطرهم للرجوع إلى الموصل[٦١]. وقرر معز الدولة الانتقام من الحمدانيين ولاسيما ناصر الدولة والمسير إلى الموصل، إذ كتب رسالة توبيخ إلى الأخير يهدده ويذكره بغدره به عدة مرات، واعتذر إليه ناصر، وبيّن له أن ما حصل هو من تدبير أولاده فتمت المصالحة على أن يدفع ناصر الدولة (ألفي) درهم سنوياً[٦٢].

وعندما استقامت الأمور لناصر الدولة واستغل انشغال معز الدولة في تعمير بغداد بعد خرابها بالفتنة التي أعقبت تمرد روزبهان وعدم ثقته بأصحابه، أدرك ناصر الدولة ضعف الأمير معز الدولة فامتنع عن دفع الأموال المقررة عليه[٦٣]، ما أدى إلى عودة الحرب مرة أخرى في سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) فسار معز الدولة بجيشه إلى الموصل ودخلها، فهرب ناصر الدولة إلى نصيبين[٦٤]، إلا أن المرجى وهبة الله، إبنا ناصر الدولة، كانا قد جهزا قوة عسكرية في سنجار، ولما لحق بهما معز الدولة دارت معركة بين الطرفين أسفرت عن هزيمة معز الدولة[٦٥]، فقرر التوجه إلى نصيبين وتوجه ناصر الدولة إلى ميافارقين وقد لحقهُ معز الدولة فهرب إلى حلب مستنجداً بأخيه سيف الدولة، فأرسل إلى معز الدولة طالباً الصلح فوافق معز الدولة وبموجب الأتفاق كانت الموصل وديار ربيعة والرحبة بيد سيف الدولة، لكن معز الدولة لم يثق بناصر الدولة لكثرة نقضه العهود وإمتناعه عن إرسال الأموال إليه، فقال معز الدولة لسيف الدولة : ((أنت عندي الثقة، وان يقدم ألف ألف درهم)) [٦٦]. وفي روايات أخرى قال له : ((إن ضمنت أنت أجبت)) فضمنت البلاد لسيف الدولة بـ ((ألف ألف درهم وتسعمائة ألف سنوياً)) [٦٧]. وترك معز الدولة الموصل ورجع إلى بغداد بعد الاتفاق على بنود الصلح[٦٨]. أما ناصر الدولة فإنه عاد إلى الموصل ليحكم بعهدة أخيه[٦٩].ويمكن القول في هذه الحالة بأن ناصر الدولة كان يحكم الموصل باسم أخيه الذي نال رضا الأمير معز الدولة[٧٠].

واستمر الصلح بين الطرفين لغاية سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م)، ففي هذه السنة نشب خلاف بين ناصر الدولة ومعز الدولة أدى إلى قتالهما إذ طلب ناصر الدولة من معز الدولة أن تعقد البلاد لابنه فضل الله الغضنفر المكنى بأبي تغلب، مقابل زيادة عشرة آلاف دينار على مبلغ العقد

الذي كان مقرراً عليه، لكن الأخير رفض طلبه[٧١]، لذلك قرر ناصر الدولة إنقاص الأموال التي كان يرسلها إلى معز الدولة، وتوجه الأخير ومعه جيشه إلى الموصل، فترك ناصر الدولة الموصل وتوجه إلى نصيبين، ودخل معزالدولة المدينة واستولى عليها، ثم لاحق ناصر الدولة فترك نصيبين واستولى عليها معز الدولة، ولم يعلم أية جهة قصدها ناصر الدولة فخاف من ذهابه إلى الموصل، وترك نصيبين راجعاً إليها. وكان أبو تغلب بن ناصر الدولة وإخوانه قد ساروا إلى الموصل واقتتلوا مع اتباع معز الدولة، فانتصر البويهيون، إلا أن الحمدانيين استطاعوا حرق سفن جيش البويهيين[٧٢]. ولما وصل معز الدولة إلى الموصل جرت بين الطرفين معارك دارت فيها الدائرة على البويهيين، وأستأمن جيش معز الدولة إلى ناصر الدولة وأعطى لكل واحد منهم (عشرة) دراهم وصرفهم ((وأخذ بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كواع وسلاح وثياب خز ومائتي ألف درهم))، وعلى الرغم من النصر الذي أحرزه الحمدانيون، فقد تقدم ناصر الدولة بعقد صلح بين الطرفين المتنازعين إلا أن معز الدولة رفض ذلك[٧٣]. فراسل أبو تغلب معز الدولة مستغلاً فرصة رفضه طلب أبيه بعقد الصلح، وتقرر في الصلح ضمان البلاد لأبي تغلب ما كان بيد والده وهي الموصل وديار ربيعة والرحبة، على أن يدفع (ستمائة) ألف درهم عن بقية سنة (٣٥٣هـ /٩٦٤م) و (ثمانمائة) ألف درهم عن كل سنة من (٣٥٤-٣٥٧هـ/٩٦٥-٩٦٧م) [٧٤]. وسبب موافقة معز الدولة على الصلح إدراكه أنه ليس من السهولة القضاء على الوجود الحمداني[٧٥]. والسبب الآخر أن معز الدولة علم بأن الحمدانيين سيعودون إلى الموصل متى فارقها، وإذا ما بقي سيستمرون بالهجوم على نواحيها[٧٦]. فأصبح أبو تغلب صاحب النفوذ السياسي في الموصل وأخذ يعمل على التقرب من السلطة البويهية، حتى تستقر له الأموال وتستكمل له جوانب القوة، وأرسل إلى معز الدولة الأموال والهدايا والتحف وأطلق سراح الأسرى والغنائم[٧٧].

ثانيا:الإمارة الحمدانية في عهد أبي تغلب الحمداني وموقفها من الأمير عز الدولة البويهي (٣٥٦-٣٦٣هـ/٩٦٦-٩٧٣م)

ترك ناصر الدولة أبناء عدة وهم : عدة الدولة الغضنفر أبو تغلب فضل الله، وأبو المظفر صاحب نصيبين، وأبو فراس محمد صاحب الموصل، وأبو القاسم هبة الله حاكم بلد، وأبو طاهر إبراهيم صاحب الجزيرة، وأبو المرجا جابر حاكم عربان (مدينة صغيرة على الخابور)، وأبو البركات لطف الله، وأبو المطاع ذو القرنين صاحب سنجار[٧٨]. وكان أبو تغلب

أبرزهم وقد مارس حكم الإمارة الحمدانية في عهد والده في سنة (٣٥٦هـ/٩٦٦م)[٧٩]. في المقابل توفى معز الدولة في هذه السنة وخلف ولده عز الدولة في حكم بغداد، وكان مشغولاً في اللهو والملذات [٨٠]، لذا فكر أبوتغلب وإخوته في الاستيلاء على بغداد، إلا أن ناصر الدولة نصح لهم بالتريث وقال لهم : ((ان معز الدولة قد خلف ما لا يستظهر ابنه عليكم فاصبروا حتى يفرق ما عنده من المال ثم اقصدوه وفرقوا الأموال، فإنكم تظفرون به لا محالة)) [٨١].

لم يقتنع أبو تغلب وإخوته بهذه الفكرة، وكان يخشى من عز الدولة إذا ما أحكم أمره أن يتوجه إليهم، حيث عزموا على حربه، فكتب ناصر الدولة إلى ولده حمدان أن يعلمه بالأمر، وكان حمدان ومعه أخوه إبراهيم وأخوه الحسين من أشجع أبنائه الذين يعتمد عليهم، وقد ولاه الرقة ونصيبين والرحبة بعد وفاة سيف الدولة أطلق يده في هذه البلاد لما عرف عنه من حسن الإدارة[٨٢]. إلا أن أبا تغلب ظفر بالكتاب فأسرع بالقبض على والده وسجنه في قلعة كواشي (اردمشت) مما أدى إلى استياء أخيه حمدان ولاسيما إن لحمدان منزلة كبيرة لدى والده[٨٣]، وأدى عمل أبي تغلب هذا إلى الانشقاق بين أولاد ناصر الدولة، فانحاز إلى حمدان كل من إبراهيم وذي القرنين وهبة الله، ولجأ إبراهيم وهبة الله إلى البويهيين وتمكن من اقناع عز الدولة بالسيطرة على الموصل[٨٤]. وأدى هذا الانشقاق إلى نشوب الصراع داخل الأسرة الحمدانية، فقد رفض حمدان بن ناصر في الرحبة تفرق أخيه، ووقع القتال بينهما، ثم استولى أبوتغلب على أملاك أخيه حمدان في سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) الذي لجأ إلى الأمير البويهي في بغداد[٨٥]. فتح هذا الانقسام باب التدخل من قبل البويهيين في الشؤون الداخلية للحمدانيين[٨٦]. إذ استغل عز الدولة وفاة ناصر الدولة الحمداني وانشغال اولاده في الصراع فيما بينهم، لكن أبوتغلب لم ينسَ هدفه بدخول بغداد والاستيلاء عليها، فالمعروف عن أبي تغلب أنه كان كأبيه ناصر الدولة يخشى من ازدياد نفوذ البويهيين ويعمل على طردهم من العراق[٨٧]، لذا قرر عز الدولة التوجه إلى الموصل وبحوزته قوة عسكرية فنزل بالدير الأعلى[٨٨]، فخرج أبوتغلب من الموصل على رأس جيشه وتوجه إلى سنجار وكسر العروب[٨٩]، وكما كان يفعل أبوه ناصر الدولة أخلى الموصل من المؤن والكّتاب والموظفين وتوجه إلى بغداد ودخلها بلا مقاومة، ولما سمع عز الدولة بذلك أرسل وزيره محمد بن بقية وحاجبه سبكتكين إلى بغداد، وترك أبو تغلب بغداد ونزل بالقرب من مكان سبكتكين وعقد اتفاقاً معه للقضاء على عز الدولة، إلا أن سبكتكين لم ينفذ

الاتفاق لخوفه من عاقبته، فاضطر أبوتغلب إلى ترك بغداد والتوجه إلى الموصل لملاقاة عز الدولة في الدير الأعلى خارج الموصل، إن الظروف لم تكن في صالح عز الدولة إذ إن سكان الموصل كانوا مع الحمدانيين، فضلا عن كون جيش الحمدانيين أكثر عدداً، لأن قسماً من جيش عز الدولة كان قد سيره إلى بغداد لمقاتلة الحمدانيين وطردهم منها، فراسل سبكتكين وابن بقية أبوتغلب لطلب الصلح بناءا"على رغبة عز الدولة لأنه كان خائفاً من تفاقم أمره على أن يضمن البلاد على ما كانت معه وأن يرسل لعز الدولة ثلاثة آلاف كر(=٢٩٢٥كم) غلة وان يرجع أملاك وأراضي أخيه حمدان عدا ماردين، وبعد هذا الصلح عاد أبوتغلب إلى الموصل وكان عز الدولة ما زال موجودا" بها فعقد صلحاً معه وطلب منه أن يمنحه لقبا"سلطانيا" فلقبه عدة الله وأن يسلم إليه زوجته ابنة عز الدولة وأن ينقص من مقدار المال الذي تم عقد الصلح بموجبه سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) وأن تؤجل عودة حمدان إلى ولايته في الرحبة بموجبه سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م)[٩٠]. وكان هدف عز الدولة من ذلك الاستفادة من بقاء حمدان في بغداد وللضغط على أبي تغلب لذلك وافق على هذا الشرط[٩١].

استغل عز الدولة فرحة قدوم جيش سبكتكين نائبه على بغداد ووزيره ابن بقية إلى مقره في الدير الأعلى فتوجه إلى الموصل للسيطرة عليها. فترك أبوتغلب المدينة قاصداً مدينة تلعفر وأرسل مع كاتبه أبي الحسن علي بن عمر بن ميمون رسالة إلى عز الدولة ((يعاتبه فيها على النقض وينسبه إلى الغدر)) فقبض ابن بقية عليه واعتقله وأمتهنه، وبعد أن ترددت الرسل بين الطرفين تم الصلح بينهما، فعاد أبوتغلب إلى الموصل وغادر عز الدولة إلى بغداد[٩٢].

ثالثا: الإمارة الحمدانية في عهد أبي تغلب الحمداني وموقفها من الأمير عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧١هـ/٩٧٧-٩٨١م)

جرت بين الأميرين عضد الدولة وعز الدولة صراعات كثيرة أسفرت في نهاية الأمر عن عزل عزالدولة عن السلطة، وتولى بدله عضد الدولة الذي استأثر بالسلطة ودخل بغداد بعد أن تركها عز الدولة قاصداً الشام مع حمدان بن ناصر، وقد أقنع حمدان عز الدولة بالتوجه إلى الموصل لكثرة الأموال فيها لأنه أراد الانتقام من أخيه أبي تغلب، وكان عزالدولة قد عاهد عضد الدولة أن لايقصد ولاية الموصل التابعة لأبي تغلب ولكنه نقض عهده فتوجه إلى الموصل، فأرسل أبو تغلب يقول لعزالدولة ((أن سلمت إليَّ أخي قاتلت معك عضد الدولة))، فوافق عز الدولة وقبض على حمدان وسلمه إلى أبي تغلب فسجنه في إحدى قلاعه، وبعدها نفذ أبو تغلب

وعده لعز الدولة فجهز قوة عسكرية مؤلفة من (٢٥) ألف مقاتل وتوجه مع عز الدولة إلى بغداد لمقاتلة عضد الدولة، فجهز الأخير قوة عسكرية بقيادة حاجبه أبو القاسم سعد فدخلت في قتال مع جيش عز الدولة وأبو تغلب عند قصر الجص أسفر في النهاية إلى وقوع عز الدولة في الأسر ثم قتله[٩٣]. أما مصير أبوتغلب فتوجه إلى الموصل فلاحقه عضد الدولة ودخلها في الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة(٣٦٧هـ/٩٧٧م) . وترك أبوتغلب الموصل فأرسل عضد الدولة في تعقبه والقبض عليهم، وبعدها طلب أبو تغلب من عضد الدولة أن يضمن له الموصل، ولكنه رفض، حيث توجه أبوتغلب إلى نصيبين. فعلم عضد الدولة فأرسل إليه جيشاً، وخاف أبوتغلب من وصول الجيش إليه حيث توجه إلى بدليس ومنها إلى الحسنية، ومنها إلى قلعة كواشي وإلى غيرها من القلاع. وعندما علم عضد الدولة بوجود أبي تغلب في إحدى قلاعه أرسل جيشاً فدخل بدليس فعرف أبوتغلب بهذا الجيش وقصد بلاد الروم ولكنه تركها وتوجه إلى آمد[٩٤]. واستطاع عضد الدولة من فتح أمد وغيرها من البلاد التي كانت تحت سيطرة أبي تغلب. أما الموصل وعين عليها أبا الوفاء ومن ثم سار إلى بغداد[٩٥]. وبالتالي سقطت الجزيرة الفراتية في قبضة عضد الدولة وذلك في ذي القعدة من سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م)[٩٦]. وبذلك طويت صفحة الوجود الحمداني في هذه المنطقة التي عدت جسر العبور بين العراق وشمال الشام[٩٧].

في سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) راسل أبوتغلب عضد الدولة وطلب منه الصلح، إذ وافق الأخير بشرط أن يمثّل أبوتغلب بين يديه وطلب العفو منه ولكن ابا تغلب رفض وتوجه إلى بلاد الشام وقتل هناك في صفر من سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م)[٩٨]. ومن حقد عضد الدولة على الحمدانيين ولاسيما أميرهم أبوتغلب انه قام في سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) بالقبض على أخته جميلة وذلك بعد أن رفضت الزواج منه، فأركبها جملاً" ونادى عليها في شوارع بغداد ((هذه قبيحة الموصل أخت أبي مغلوب))، ثم تركها بعد أن أذلها فانتحرت أثر ذلك[٩٩].

رابعا:الإمارة الحمدانية في عهد أبي طاهر ابراهيم وأبي عبدالله الحسين ابنا ناصر الدولة وموقفها من الأمير بهاء الدولة البويهي (٣٧٩-٣٨٠هـ/٩٨٩-٩٩٠م)

وكانت آخر محاولة حمدانية لاسترجاع الموصل في سنة (٣٧٩هـ/٩٩٠م) وكانت محاولة جادة لإسقاط البويهيين واستعادة الموصل، فقد طلب كل من أبي طاهر إبراهيم وأبوعبدالله الحسين، أبني ناصر الدولة الحمداني من بهاء الدولة البويهي السماح لهما بالتوجه

إلى الموصل[١٠٠]. لكن السلطة البويهية أدركت خطورة ذلك، فحاول بهاء الدولة استدراك الأمر وكتب إلى أبي نصر خواشادة متولي الموصل، يمنع ابني ناصر الدولة من التوجه إليها، فلما وصلا حديثة كتب إليهما أبونصر خواشاذه بالمنع وهددهما بالقبض إن خالفا الأوامر فتظاهرا بالالتزام وعاد الرسول، فسارا باثره، حتى وصلا الموصل ونزلا في الدير الأعلى[١٠١]. ولما سمع أهل الموصل بعودة الحمدانيين، أعلنوا انضمامهم وتأييدهم لبني حمدان، وثاروا على سلطة البويهيين في الموصل فقتلوا عدداً من الديالمة وحاصروا القسم الآخر في دار الإمارة، حتى اضطروا إلى طلب الأمان، وعادوا إلى بغداد فلولاً منهزمة[١٠٢].

وبذلك عادت السيادة الحمدانية إلى الموصل مرة أخرى[١٠٣]، إلا أنه في هذه المدة ظهرت قوة أخرى في الجزيرة الفراتية وهي قوة باذ الكردي[١٠٤] ومن بعده المروانيون[١٠٥]، وقد استطاعت هذه القوى من القضاء على النفوذ الحمداني في الموصل سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)[١٠٦].

الخاتمة

ويمكن القول أن الحمدانيين ظهروا كقوة سياسية مثلت قوة نفوذ القبائل العربية في المنطقة، واستطاعوا أن يكونوا كيانات سياسية مستقلة في الموصل وحلب، فضلا عن دورهم في الدفاع عن الدولة الإسلامية ضد الروم البيزنطيين من جهة، ودفاعهم عن الموصل ضد البويهيين من جهة أخرى.

كان أمراؤهم لا يستغلون الفرص المناسبة، إذ كانت هناك فرصة ثمينة لناصر الدولة الحمداني أن يأخذ مكانته في الدولة العباسية، ولكنه لم ينظر بعيداً، ولم يستفد من الظروف المحيطة به، وكان في وسعه أن يقضي على منافسيه[١٠٧]، وكذا الحال مع أبي تغلب الذي انشغل بالصراع مع اخوته وترك في البداية مقاتلة البويهيين، ولو فكر في جمع قوة إخوته وعدم سجن والده لكان قد قضى على الوجود البويهي في بغداد.لكنهم لعبو دوراً مهماً في التصدي للسلطة البويهية من جهة، والدفاع عن الخلافة العباسية من جهة أخرى.

وهكذا كانت العلاقات بين الإمارة الحمدانية والسلطة البويهية غير ثابتة، إذ عرفت العلاقات بالتدهور ونشوب الحروب بين الطرفين.

الملاحق

مخطط (١) نسب الاسرة الحمدانية

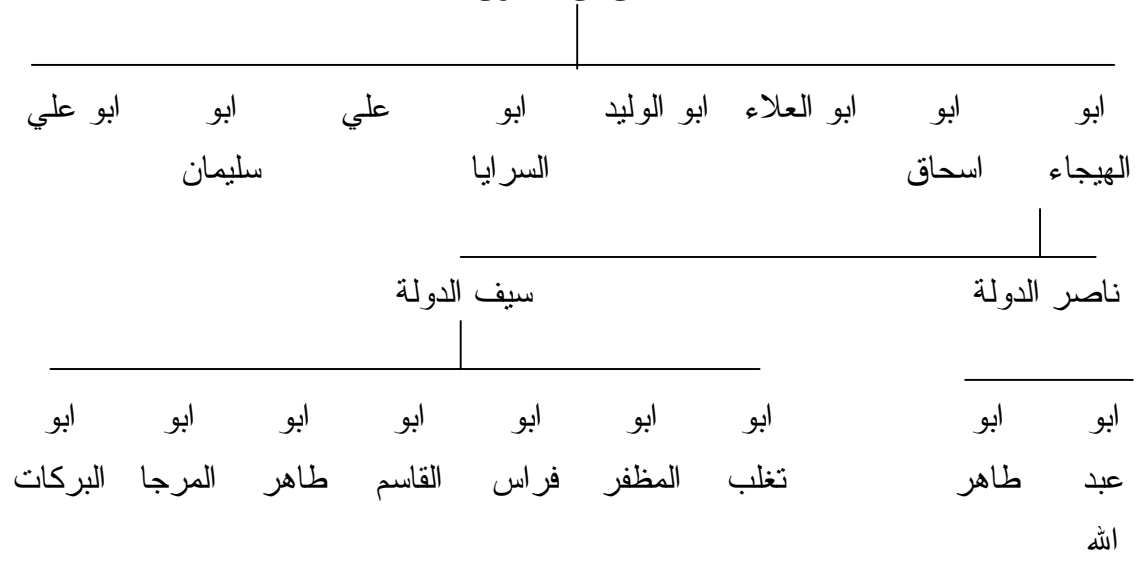

جدول(١) يشير إلى أسماء الأمراء الحمدانيين في الموصل وسنوات حكمهم ومن عاصروهم من الأمراء البويهيين وسنوات حكمهم في العراق (٣٣٤-٣٨٠هـ/٩٤٥-٩٩٠م)

سنوات حكم الأمراء العقيليين		سنوات حكمهم الأمراء البويهيون	
الأمير الحمداني	مدة حكمه	الأمير البويهي	مدة حكمه
ناصر الدولة	(٢٩٢-٣٥٦هـ/٩٠٥-٩٦٦م)	معز الدولة	(٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٦م)
أبو تغلب	(٣٥٦-٣٧١هـ/٩٦٦-٩٨١م)	عز الدولة عضد الدولة	(٣٥٦-٣٦٣هـ/٩٦٦-٩٧٣م (٣٦٣-٣٧١هـ/٩٧٣-٩٨١م)
أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين، أبناء ناصر الدولةالحمداني	(٣٧٩-٣٨٠هـ/٩٨٩-٩٩٠م)	بهاء الدولة	٣٧٩-٤٠٣هـ/٩٨٩-١٠١٢م)

جدول (٢) يوضح الصراع بين الحمدانيين والبويهيين

ت	العنوان	السنة	مكان الصراع (المناطق المتنازع عليها)	نتيجة الصراع
١	الصراع بين ناصر الدولة الحمداني و معز الدولة البويهي	(٣٣٤-٣٥٣هـ/٩٤٥-٩٦٦م)	الموصل	انتصار ناصر الدولة ثم عقد الصلح بين الطرفين
٢	الصراع بين ابي تغلب الحمداني وعز الدولة البويهي	(٣٥٦-٣٦٣هـ/٩٦٦-٩٧٣م	الموصل	الصلح بين الطرفين
٣	الصراع بين ابي تغلب الحمداني وعضد الدولة البويهي	(٣٦٣-٣٧١هـ/٩٧٣-٩٨١م)	الموصل	انتصار عضدالدولة
٤	الصراع بين أبي طاهر إبراهيم وأبي عبد الله الحسين، أبناء ناصر الدولةالحمداني وبهاء الدولة الحمداني	(٣٧٩-٩٨٠هـ/٩٨٩-٩٩٠م)	الموصل	التصالح

م.د. عمر احمد سعيد

خارطـــة توضح حدود الإمارة الحمدانية والبويهيـــــــة(١)

(١) مؤنس، حسين ، أطلس التاريخ الإسلامي ، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة : ١٩٨٧م)، ص٢١٧ .

الهوامش

(١) نسبة إلى جدهم بويه وموطنهم الأصلي بلاد الديلم الواقعة في الجزء الجنوبي من بحر قزوين، وينحدر نسبهم من بويه إلى الملوك الساسانيين.أسسوا لهم إمارة في بلاد فارس وإقليم الجبال والعراق.(**ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)**،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر (بيروت: ١٩٦٦م)، ٢٢٧؛ **وجدي**، محمد فريد، مادة بويه، دائرة معارف القرن العشرين،ط٣ (بيروت: ١٩٧١م)، ٤٤٤/٢.). وحول اصول البويهيين وظهورهم كقوة سياسية ينظر:الحمداني،عمر احمد سعيد محمود :الصراعات السياسية في حقبة التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)،(جامعة الموصل،كلية الاداب،٢٠١١)،٥ -٢٠.

(٢) **الأزدي، علي بن ظافر (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)**،أخبار الدولة الحمدانية،تحقيق تميمة الراوف، دار حسان للطباعة والنشر،ط١(د/م:٩٨٥)،١١؛ وله أيضاً أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد (القاهرة: ٢٠٠١م)،٣.

(٣)**القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)**، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق: علي الخاقاني، منشورات دار البيان (بغداد: ١٩٥٨م)،٢٢٣؛**السامر، فيصل**، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، مطبعة الإيمان (بغداد: ١٩٧٠م)، ٣٨/١-٤٠.

(٤)**سعيد الديوه جي**،تأريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٨٢م)،٨/١.

(٥)**الهمداني**، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب،تحقيق: محمد بن علي الاكوع،دار الشوون الثقافية العامة (بغداد :١٩٨٩)،١٣٣؛ **اليوزبكي، توفيق سلطان وفوزية يونس فتاح**، حكم الحمدانيين للموصل،مجلة التربية والعلم،العددالتاسع (الموصل :١٩٩٠)، ٦٧.

(٦)**الأزدي**، المصدرين السابقين،٣،١٣ ؛ **طقوش، محمد سهيل**، تأريخ الطولونيين والاخشيديين والحمدانيين، دار النفائس (بيروت: ٢٠٠٨م)،٢٠١.،**العزاوي،ايمان عدنان**، المسكوكات الحمدانية، رسالة ماجستيرغير منشورة،كلية الآداب(جامعة يغداد :١٩٨٥)، ١٠.

(٧)**الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)**، تأريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر: ١٩٦٩م)، ١٧٠/٨-١٧٤.

(٨)**ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)**،الكامل في التأريخ، دار صادر، دار بيروت (بيروت: ١٩٦٦م)، ٥٣٨/٧ ؛ **العزاوي**،، المرجع السابق، ٩.

(٩) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٣١/٧.

(١٠) **السامر**، المرجع السابق، ١٠٠/١ ؛ **الجميلي،رشيد عبدالله**، الموصل في عهد الإدارة الحمدانية، موسوعة الموصل الحضارية،دار الكتب للطباعة والنشر،ط١ (المصول :١٩٩٢)،٢/ ٩٢.

(١١)**ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، منشورات محمد علي بيضون، دار

الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٨م)، ١/١٧٥ ؛ **سوبرنهيم** ، مادة الحمدانيون،دائرة المعارف الإسلامية،يصدرها باللغة العربية :أحمد الشنتاوي وآخرون، ٨/٧٨.

(١٢)**ابن الاثير**، المصدر السابق، ٨/٢٠٠-٢٠٢ ؛ **ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)**،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (القاهرة: د/ت)، ٣/٢٢٣.

(١٣) **الأزدي**، المصدرين السابقين، ٣، ١٣ ؛ **سوبرنهيم**، المرجع السابق، ٨/٧٨.

(١٤) **ارزن :مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحي أرمينية،وقد نسب إليها قوم من أهل العلم. منهم أبو غسان عياش بن إبراهيم الأرزني حدث عن الهيثم بن عدي وغيره ويحيى بن محمد الأرزني الأديب(ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)**، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د/ت)،١/١٨١).

(١٥) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٢١٤-٢١٧ ؛ **عدوان،أحمد**، تأريخ الدولة الحمدانية،منشورات المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع (دمشق : د/ت)، ١٣٩.

(١٦)**العزاوي**، المرجع السابق، ١١ ؛ **الجميلي**،المرجع السابق، /٩٤.

(١٧) البريديون أسرة ظهروا على المسرح السياسي ويعود لقبهم إلى تقلد جدهم وظيفة صاحب البريد بالبصرة، فكانوا ثلاثة إخوة سادهم حسب جمع المال والوصول إلى السلطة،، واشتهروا بكناهم من دون أسمائهم، ومنهم : أبو عبد الله الحسن بن عبدالله البريدي، واسمه أحمد بن محمد، وكان عميدهم وكبيرهم، والثاني أبو يوسف يعقوب بن محمد، وأبو الحسين علي وقد اشتهر لأبي عبد الله بن عرف بكنيته أيضاً، وهو أبو القاسم، وكان اسمه عبد الله. وكان البريديون يترددون بين منطقة الأحواز والبصرة، لذا كان موطنهم الأصلي البصرة.(مسكويه،أبوعلي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)،تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أمدروز، شركة التمدن الصناعية (مصر: ١٩١٥)، ١/١٨٧).

(١٨) **الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٤٥هـ/٩٤٦م)**،أخبار الراضي بالله والمتقي لله، عني بنشره:هيورث، دار المسيرة (بيروت: ١٩٧٩م)،٢٢٦-٢٢٨.

(١٩) اليوزبكي وفوزية يونس فتاح، المرجع السابق، ٨٠.

(٢٠)الصولي، المصدر السابق، ٣٩-٤٠ ابن الأثير، المصدر السابق، ٨/٣٩٦-٣٩٧ ؛.

(٢١) **توزون:** رئيس الجيش وأمير أمراء الترك وأسمه أبو الوفا تولى الأمارة سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) وتوفي في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥ م) وكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهروتسعة عشر يوما.وكان من خواص بجكم، غدر بالخليفة المتقي وسمل عينه، وكانت تعتريه علة الصرع، ولم يحل عليه الحول بعدما فعله بالمتقي، وكان جباراً ظالماً فاسقاً فاتكاً، قتل خلقاً كثيراً وأخذ الأموال. (**الصولي**، المصدر السابق، ٢٦٧ ؛ **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)**، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن: ١٣٥٧)،٦/٣٣٧-٣٣٨).

(٢٢)**مسكويه**،المصدر السابق، ٦/٢٨-٢٩ ؛ ٦/٤٨-٥٠؛ **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)**، تأريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت: ١٩٧٩م)، ٤/٢٣٤.

(٢٣) **غندور**، محمد يوسف، تاريخ جزيرة ابن عمر منذ تاسيسها حتى الفتح العثماني،دار الفكر اللبناني،ط١،(بيروت:١٩٩٠)، ٨٢ ؛ **شميساني**، حسن، مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة٩٢١هـ/١٥١٥م،عالم الكتاب، ط١(يروت:١٩٧٨)، ١٠٢.

(٢٤) **ابن خلدون**، المصدر السابق، ٤/٢٣٥.

(٢٥) **مسكويه**، المصدر السابق،٢/١١٧-١١٨.

(٢٦)**السامر**، المرجع السابق، ١/٢٥٩ ؛ **فتاح**، فوزية يونس، علاقات الموصل مع الدولة العباسية، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الاداب (جامعة الموصل : ١٩٧٧)،٨٩.

(٢٧) **سرور**، محمد جمال الدين، تأريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، (د/م :د/ت)، ٧٣.

(٢٨)**حسن، طالب جاسم**، المقاومة العربية للتسلط البويهي في العراق والجزيرة الفراتية (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد: ١٩٨٦م)، ١٦٨.

(٢٩) **فوزي، فاروق عمر**، النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة، وزارة التعليم العالي (بغداد: ١٩٨٩م)، ١٠٨.

(٣٠)**الشكعة، مصطفى**، سيف الدولة الحمداني،دار القلم،(مصر:د/ت)٣٩.

(٣١) **السامر**،المرجع السابق، ١/٢٥٧ ؛ **المعاضيدي،عبد القادر سلمان**،المقاومة العربية لحكم البويهيين الفرس في العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، مجلة دراسات للأجيال، العددان الرابع والخامس، السنة الخامسة (بغداد: ١٩٨٣م)، ٣٨١.

(٣٢)**الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)**، تأريخ الأنطاكي، مذيل على كتاب التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن البطريق، مطبعة الآباء (بيروت :١٩٠٩)، ١/١١٠-١١١.

(٣٣) **حسن**، المرجع السابق، ١٦٨.

(٣٤) **مسكويه**، المصدر السابق ٢/٨٩.

(٣٥) **الأزدي**، تاريخ الموصل ، ٢/٢٧٨-٢٨٠ ؛ **الدوري، تقي الدين عارف**، القادة الحمدانيون،مقالة مي كتاب الجيش والسلاح(بغداد:١٩٨٨)،٤/ ٣٨١.

(٣٦) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٩٠.

(٣٧) **السامر**، المرجع السابق، ١/٢٥٩ ؛ **علي، عصام عبد**،مهيار الديلمي، دار الحرية للطباعة (بغداد: ١٩٧٦م)، ١١٤.

(٣٨) **علي**، المرجع السابق، ١١٤.

(٣٩) **الأزدي، الشيخ أبو زكريا يزيد بن محمد بن آياس (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)**، تأريخ الموصل، تحقيق وتكملة: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٦م)، ٢/٢٧٨-٢٨٠ ؛ **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٩١.

(٤٠) **حسن**، المرجع السابق، ١٧٤.

(٤١) **الديوه جي**، المرجع السابق، ١/١٢٩.

(٤٢) **الأزدي**، أخبار الدولة المنقطعة، ١٠-١١ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٤٥٣-٤٥٤.

(٤٣) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/١٩١ ؛ **الدوري**، المرجع السابق، ٨٤.

(٤٤)**الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت د/ت)،٢/٤٧.

(٤٥) **الأزدي**، تأريخ الموصل، ٢/٢٧٨-٢٨٠ ؛ **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٩١ .

(٤٦)**التنوخي، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)**، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر (بيروت: ١٩٧٣م)، ١/٣٥٢.

(٤٧) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/١٢.

(٤٨)**المسعودي**، المصدر السابق،٦/٣٧١؛ **ابن الكردبوس،أبو مروان عبد الملك بن الكربوس التوزي (من علماء ق٦هـ)**، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٩م)، ٢/٤٦٣.

(٤٩) **ابن الكردبوس**، االمصدر السابق، ٢/٤٦٤.

(٥٠) **مسكويه**، ٢/٩٣-٩٤. وعكبرا : وهو اسم بلدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (=٦٠كم). وقال حمزة الاصبهاني : بزرج سابور معرب عن وزرك شافور وهي المسماة بالسريانية عكبرا وبعضهم من نسبها الى عكبري وعكبراوي الشيخ الامام محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي. **(ياقوت الحموي**، المصدر السابق، ٤/١٤٢).

(٥١) **مؤلف مجهول**، العيون والحدائق في أخبار الحقائق حوادث (٢٥٦-٣٥٠هـ/٨٧٠-٩٦١م)، تحقيق: عمر السعيدي (دمشق: ١٩٧٣م)، ق٢، ٤/٤٥٢-٤٥٣ ؛ **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/١٠٨.

(٥٢) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٩٥-٩٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ٢/١٠٩.

(٥٤)**مسكويه**، المصدر السابق، ٢/١١٣-١١٤ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٤٧٠.

(٥٥) **مؤلف مجهول**، المصدر السابق، ق٢، ٤/٤٥٩-٤٦٠ ؛ **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/١١٥.

(٥٦) **السامر**، المرجع السابق، ١،٢٦٤.

(٥٧) **جمعة،عكاب يوسف**، العلاقات السياسية للخلافة العباسية مع الإمارت الإسلامية في فترة التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة الموصل: ١٩٩٢م)، ١٢٦.

(٥٨) **مسكويه**، المصدر السابق، ١٦٢/٢ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥١٤/٨.

(٥٩) **حسن،حسن إبراهيم**، تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار احياء التراث، ط٦ (بيروت: ١٩٦٥م)، ١١٧/٣.

(٦٠) **مسكويه**، المصدر السابق، ١٦٢/٢.

(٦١) المصدر نفسه، ١٦٢/٢-١٦٥.

(٦٢) المصدر نفسه، ١٦٨/٢-١٧٠.

(٦٣) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٢٠/٨ ؛ **ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**، تأريخ الزمان، ترجمة: الاب إسحق إرملة، ط٢ (د/م: ١٩٨٦م)، ٦٠.

(٦٤) **ابن العبري** المصدر السابق، ٦٠؛ **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣ (بيروت: ٢٠٠٢م)، حوادث ووفيات (٣٣١-٣٥٠هـ)، ٢٢٦-٢٢٧؛ **كانارد، ماريوس**، نخب تأريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني،طبع ليتيوليفو وجول كربونيل، (الجزائر:١٩٢٤)، ٢٤٢.

(٦٥) **مسكويه**،المصدر السابق ، ١٧١/٢.

(٦٦) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٢٢/٨-٥٢٤ ؛ **ابن العبري**، المصدر السابق، ٦٠.

(٦٧) **مسكويه**، المصدر السابق، ١٧٠/٢-١٧٤ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٢٢/٨-٥٢٤.

(٦٨) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٢٧/٨ ؛ **ابن واصل**، المصدر السابق، ٥٥/٢.

(٦٩) **طقوش**، المرجع السابق، ٢٤٣ ؛ **عدوان**، المرجع السابق، ١٨٠ ؛ **كانارد**، المرجع السابق، ٢٤٣.

(٧٠) **عدوان**، المرجع السابق، ١٨٠.

(٧١) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢٠٤/٢.

(٧٢) المصدر نفسه، ٢٠٥/٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ٢٠٥/٢-٢٠٦.

(٧٤) المصدر نفسه، ٢٠٦/٢.

(٧٥) **جمعة**، المرجع السابق، ١١٧.

(٧٦) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٥٥٤/٨.

(٧٧) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢١٥/٢.

(٧٨) **الأزدي**، أخبار الدولة الحمدانية، ٢٠-٢١.

(٧٩) **اليوزبكي، وفوزية يونس فتاح**، المرجع السابق، ٧٥.

(٨٠) **ابن الأثير**، المصدر السابق، **٥٧٥/٨-٥٧٦.**

(٨١) المصدر نفسه،٥٧٩/٨-٥٨٠.

(٨٢)**الديوه جي**، المرجع السابق، ١٣٢/١-١٣٣.

(٨٣) مسكويه، المصدر السابق، ٢/٢٣٨-٢٣٩، ٢/٢٥٤-٢٥٥ ؛ ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)،زبدة الحلب في تأريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (دمشق: ١٩٥١م).، ١/١٠٥. وقلعة كواشي : قلعة حصينة في جبال شرق الموصل ليس إليها طريق إلا لشخص واحد، وكانت قديماً تسمى أردمشت، وكواشي اسم لها محدث. (ياقوت الحموي، المصدر السابق،٤/٤٨٦)

(٨٤)**مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٢٣٨-٢٣٩ ؛**اليوزبكي وفوزية يونس فتاح**، المرجع السابق، ٧٥.

(٨٥) المصدرتفسه، ٢/٢٣٨-٢٣٩، ٢٥٤-٢٥٦ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٨/٥٧٩-٤٨٠.

(٨٦) **السامر**، المرجع السابق، ١/٢٧٦ ؛ ٣٣؛ **الموصلي،سليمان صائغ**، تأريخ الموصل،المطبعة السلفية،(مصر:١٩٢٣)، ١/١١٥.

(٨٧) **طقوش**، المرجع السابق، ٢٤٨ ؛ **المعاضيدي**، المرجع السابق، ٣٨٤.

(٨٨) **دير الأعلى**: دير واقع على جبل بالموصل مطل على نهر دجلة يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف، ويقال إنه ليس للنصارى دير مثله لوجود أناجيلهم ومتعبداتهم وظهر تحته في سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) عدة معادن كبريتية ومرقشيثا وقلقطار ويزعم أهل الموصل أنها تبرىء من الجرب والحكة والبثور وتنفع المقعدين، وإلى جانب هذا الدير مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي صحابي.(**ياقوت الحموي**، معجم البلدان، ٣/٣٨٣).

(٨٩) **كسرالعروب**: اسم لقرية فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين نزهة

(٩٠) **مسكويه**،المصدر السابق، ٢/٣١٨-٣٢١ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٦٣١-٦٣٣.

(٩١) **جمعة**، المرجع السابق، ١٣٠.

(٩٢) **مسكويه**، المصدر السابق، ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٩٣)مسكويه،المصدرنفسه، ٢/٣٨٠-٣٨٥؛الخطيب العمري، محمد أمين بن خير الله (ت١٢٣٦هـ/١٨٢٠م)، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية (الموصل: ١٩٦٧م)،، ١/٨٧-٨٨. وقصر الجص: قصر كبير بناه الخليفة المعتصم بالله للنزهة وهو بالقرب من سامراء يبعد بحدود (٧) كم شمال قصر العاشق، وعنده قتل عز الدولة البويهي على يد ابن عمه عضد الدولة البويهي. (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٨/٣٥٦-٣٥٧).

(٩٤) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٦٩٣. **وبدليس** : من نواحي أرمينة قرب خلاط، فيها بساتين كثيرة، وتفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص. (**ياقوت الحموي**، المصدر السابق،١/٣٥٨). **والحسنية** : بلد في شرق الموصل على بعد يومين، بينها وبين جزيرة ابن عمر، وسميت بالحسنية نسبة إلى الحسن. (**ياقوت الحموي**، المصدر السابق، ٢/٢٦٠).

(٩٥) **فتاح**، المرجع السابق، ٩٤-٩٥.

(٩٦) **الأنطاكي**، المصدر السابق، ١١٠-١١١.

(٩٧) **أبو سعيد، حامد غنيم**، العلاقات العربية السياسية في عهد البويهيين (القاهرة: ١٩٧١م)،، ٢٥٥.

(٩٨) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٦٩٩-٧٠٠ ؛ **العمري**، مهذب الروضة الفيحاء، ٢٢٩٠٢٣٠ ؛ **سوبرنهيم**، المرجع السابق، ٨/٧٨.

(٩٩) **ابن الأثير**،المصدر السابق،٨/٦٩٩-٧٠٠.

(١٠٠) **ابن الأثير**، المصدر السابق،٩/٩١-٩٢.

(١٠١) **أبو شجاع، محمد بن الحسين الروذراواري (ت٤٨٨هـ/١٠٥٩م)**، ذيل تجارب الأمم، تحقيق: هـ. ف أمدروز، مطبعة التمدن الصناعية (مصر: ١٩١٩)، ٣/١٧٠. وأبي نصر خواشادة :من أبرز القادة البويهيين ومن المشاركين في الحملات المتوجهة نحوالموصل، فقد جعله الامير عضدالدولة البويهي نائباً عنه في حكم الموصل بعدان سقطت الموصل بيد البويهيين وطرد فلول الحمدانيين. (**ابن الأثير**، المصدر السابق، ٨/٦٩٩-٧٠٠).

(١٠٢) **ابن خلدون**، المصدر السابق، ٣/٩٠٥.

(١٠٣) **حسن**، المقاومة العربية، ٢١٧.

(١٠٤)هو الأمير أبو عبد الله الحسين بن دوستك ولقبه بـ(باد الكردي) وان معنى باد في اللغة الكردية الريح فسمي الأمير به أو لقب به لخفته في الحركات وإحراز الانتصارات، أسس إمارة في ديار بكرفي أواسط القرن الرابع الهجري، وامتدت سلطته إلى بعض مناطق أرمينية. ومن أهم مدنها في ديار بكر والجزيرة، مدينة أمد وميافارقين ومارادين وجزيرة أبن عمر ونصيبين وبلد وشمال الموصل ومدينة أرجيش ومدينة أرزن وخلاط وبدليس في أرمينية وانتهت بعد مقتله سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) **أبو شجاع**، المصدر السابق، ٣/ ١٧٢،٨٤- ١٧٣؛ **يوسف، عبد الرقيب**، الدولة الدوستكية، (اربيل :٢٠٠١)،١/ ٣٥.

(١٠٥)نسبة إلى أولاد مروان بن لكك الحاربختني الذين تولوا الإمارة بعد مقتل باد الكردي سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) وهم وان كانوا أولاد أخته إلا أنهم ليسوا من صلبه لذا يبدو التسمية الصحيحة هي المروانية بدليل ورودها عن ابن الأثير تحت عنوان (ذكر ابتداء دولة بني مروان) وعند ابن خلدون : (الخبر عن دولة بني مروان بديار بكر) (**أبو شجاع**، المصدر السابق، ٣/ ١٧٨ ؛ **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٩/ ٧١؛ **ابن خلدون**، المصدر السابق، ٤/ ٣١٥).

(١٠٦) **ابن الأثير**، المصدر السابق، ٩/٩١-٩٢ ؛ سوبرنهيم، المرجع السابق، ٨/٧٩.

(١٠٧) **الديوه جي**، المرجع السابق، ١/١٣٠.

المعتقدات الشائعة في الموصل وبغداد أواخر العهد العثماني حتى سنة ١٩١٨ (دراسة مقارنة)

أ.م.د.عروبة جميل محمود*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٦/١ تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث:

في أواخر العهد العثماني كان لدى المجتمعين الموصلي والبغدادي اعتقادات راسخةفي الخرافات والأساطير، بسبب جهل المجتمعين وقلة وسائل العلاج الطبي وتفشي الأمية فيلجئون لحل مشاكلهم إلى المشعوذين والسحرة بأساليب بعيداً عن الدين الإسلامي الصحيح، أو يترددون إلى أماكن مقدسة يعتقدون أنها تجلب لهم السعادة والعلاج من المرض، أو لحل مشاكل عالقة، وسيتناول بحثنا هذا بعض العادات والتقاليد والخرافات التي تمسك بها المجتمعان الموصلي والبغدادي حينذاك.

The Common Beliefs In Mosul and Baghdad at the late of the Ottoman Erauntil 1918(A Comparative Study)

Assit. Prof.Dr. ouruba Jameel Mahmood Othman

Mosul studies center

At the late of the Ottoman Era, both the Mosuli and Baghdadi communities had rooted beliefs in myths and legends, because of the ignorance of the two communities at the time the lack of medical treatment and the spread of illiteracy. they went to solve their problems tomagicians away from the true religion of Islam or to heal illnesses orto solve outstanding problems This research will tackle some customs traditions and superstations which adopted by both the Mosuliand Baghdadi communitiesat the time.

*أستاذ مساعد، قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

المقدمة:

يهدف البحث إلى تحديد الملامح المشتركة والاختلافات الموجودة بين المجتمعين الموصلي والبغدادي، في مجالات اجتماعية عدة، من حيث بعض المعتقدات الشائعة في الموصل أواخر العهد العثماني، ويرجع السبب في اختياري لهذا الموضوع هوعدم وجود بحوث علمية أكاديمية أوأطاريح جامعية عالجت الموضوع. وفي كل الأديان هناك معتقدات شائعة تتعلق بالحياة الاجتماعية وفي التربية والنظرالى المستقبل توارثها الأبناء جيل بعد جيل حتى وصلت الى الوقت الحاضر .

تعريف المعتقد لغةً واصطلاحاً:

المعتقد لغةً: "هو ما يسلم به الفرد انه صحيح ويرسخ بعمق في تفكيره أو هو فكرة،أو توجه صحيح تجاه موقف معين يحاول الفرد إيجاد تبرير أو تفسير له"(١).

المعتقد اصطلاحاً : "معتقد لا يعتمد على أساس من الواقع ومن الدين، مثل الأقوال أوالأفعال أو الأعداد التي يظن أنها تجلب السعد أو النحس"(٢).

أولا: **المراقد والمزارات الدينية**:

المراقد والمزارات الإسلامية في الموصل

زيارة ضريح النبي يونس:

أما زيارة ضريح(٣)النبي يونس(٤)(عليه السلام)، فتذهب المرأة الموصلية التي لم تنجب مع قريباتها لزيارته وبعد أداء مراسيم الزيارة تذهب إلى البئر الموجود في فناء الجامع وتدور ثلاث مرات حوله وفي هذه الأثناء يكون بعض الماء قد تجمع أثناء القيام بالدوران، فتأخذه ومن ثم تقوم بالاستحمام به أو تسكبه فوق رأسها وتفضل الزيارة يوم الأربعاء(٥).

أما زيارة ضريح علي الهادي(٦). فيؤخذ الطفل كثير البكاء والذي لايهدأ، فما على الأم إلا أن تقوم بأخذه إلى ضريح علي الهادي عصر يوم الأربعاء، فتشعل بعض الشموع وتضعها بجانب الضريح وتدور حوله ثلاث مرات بعد قراءة بعض الأدعية والصلوات ومن ثم تترك الضريح إلى الفناء، حيث يوجد بئر تأخذ منه بعض الماء وتسقيه لطفلها وتعود بعد ذلك إلى دارها(٧). إلا أن هناك طريقة أخرى تتبعها الأم في بكاء الطفل من خلال زيارة ضريح موسى القرني،(٨)حيث تقوم الأم بتهيئة (قوس ونشاب) فتأخذ طفلها إلى الضريح، وتجلس مقابل الباب، وتضع الطفل في حضنها وتضرب بالقوس باتجاه الباب، كي يدخل (النشاب) داخل الضريح فإذا

حصل ما أرادت تقوم الأم بقراءة الأدعية، ومن ثم تعود إلى بيتها، وتكون الزيارة والممارسة يوم الأربعاء عصرا أو يوم الجمعة[٩].

زيارة مرقد الشيخ فتحي:

كان لأضرحة الأنبياء والأولياء والشيوخ الصالحين من علماء الدين في الموصل حصة في معتقدات وخرافات الموصليين فيستخيرون بها، ويسألونها دفع مرضاهم، أو إيفاء ديونهم وإسداء الرزق لهم فكان مرقد[١٠] الشيخ فتحي[١١]، مزاراً وملجأ لبعض النسوة وبخاصة لمن تريد الزواج فتذهب لزيارته، أما المرأة الموصلية التي لم تنجب وتريد الإنجاب فيكفي أن تجلب ماء البئر لتغتسل به حتى تحصل على مرادها، وتتم مراسيم الزيارة هذه "بالذهاب" إلى البئر الموجود في فنائه فتسقي منه الماء حيث تدلى بدلوها ثلاث مرات متتالية، وتجمع الماء المستخرج منه وتسكبه فوق رأسها" وتفضل الزيارة ليلة الجمعة والأربعاء من الأسبوع[١٢].

زيارة مرقد آر محمود:

مرقد آر محمود[١٣] ويلفظه الناس (ار ما موط) و(ار) "كلمة تركية تعني ولي من أولياء الله، وبحسب الطريقة البكتاشية[١٤] الشخص الذي يتوصل إلى درجة رجل صالح "ويحظى بمنزلة طيبة لدى الناس يسمونه (ار) وقيل عنه انه كان رجلا صالحا مشهورا بالورع والتقوى ووليا من أولياء زمانه، يزار مرقده أيام الخميس والجمع للتضرع والتوسل وطلب الحوائج وله العديد من الكرامات، منها ان آر محمود سمع امرأة تقول لو أن ابني أكل من هذا الطعام الذي يحبه، وكان ابنها جنديا بعيدا عنها آلاف الكيلو مترات فقال لها آر محمود :"املئي وعاءاً لأخذه إليه، ولأنها سمعت بكراماته فملأت وعاءاً فأوصل آر محمود الوعاء خلال دقائق ولما عاد ابنها شكر أمه على الطعام الذي أرسلته وكيف انه كان حاراً!![١٥].

مزار خضر الياس :

يقع في جنوب تلعفر، ويبعد عن مركز المدينة بضع كيلومترات يزار المكان في اقرب خميس من (١٧) إلى (٢٥) شباط من كل سنة، إذ يّعد يوم الزيارة عيدا للأهالي، فتتجمع المئات بل الآلاف على هذا التل الذي يحترمه الجميع ويعدون أكلات وحلويات خاصة لهذه اليوم، الذي يعد أول أيام الربيع حسبما يرى أهل تلعفر، ويمارس الناس في هذه المزارات عادات معينة فمثلاً أن بناية المزار فيهاما يسمى (ثقب المراد)، فإذا نوى شخص عمل شيء ما يقف أمام الثقب

ويغمض عينيه ويمد سبابته إلى الأمام فإذا دخلت السبابة إلى الثقب فانه يحصل على مراده وإذا لم تدخل فلا يحصل على مراده[١٦].

كما يحتفل بعض اليزيدية بهذا العيد ويقع هذا العيد عندهم أول خميس من شهر شباط وقد يصوم البعض منهم الأيام الثلاثة التي تتقدمه (الاثنين والثلاثاء والأربعاء) وقد يصومون يوما واحدا فقط، إلا أن هذا العيد مقتبس من عيد خضر الياس عند النصارى حيث يسمونه (عيد مار بهنام) فكلا العيدين يأتيان في آن واحد، أما الصوم الذي يصومه النصارى في هذا العيد فيسمونه (الباعوثه) ومدته ثلاثة أيام كما هو عيد اليزيدية، ومن عادة يزيدية سنجار أنهم يقلون الحبوب ويوزعونها على الأهل والمعارف[١٧].

أما فيما يتعلق بالأساطير التي وردت بمقام خضر الياس فهناك اعتقادات مفادها، أن باستطاعة خضر الياس منح أي مراد فهو القادر على أن "يلين قلب الفتى والفتاة أو ذويهما وهو الذي يستطيع شفاء العاقر. وهذا الاعتقاد شائع عند العاقرات أكثر من العاقرين"وهذا يتعارض بطبيعة الحال مع قول الله عزوجل في الآية الكريمة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ)[١٨]. (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)[١٩] ومن الجدير بالإشارة إن بعضاً من النساء العاقرات عند زيارة مقام خضر الياس كانت تصطحب معها أطيب المأكولات على أمل تحقيق طلبها في الحصول على طفل طالما انتظرت قدومه بلهفة وطالما نذرت بان تسميه (خضر) أو(الياس) وذلك تيمنا بصاحب هذين الاسمين[٢٠].

مزارات الطائفة النصرانية (مزار مار يوسف):

يقع هذا المزار في الجهة الشمالية الغربية من القوش[٢١]، ويحيط هذا المزار مقبرة للأطفال، إلا أننا نجهل الأسباب التي أدت إلى دفن الأطفال الصغار في هذا المكان ويرجحأحد الباحثين أن مار يوسف كان معلما للأحداث ويحبهم حبا كثيرا وظل طوال حياته يعمل في خدمتهم وتهذيبهم وتوجيههم توجيها صحيحا بموجب تعاليم الإنجيل حتى موته، اقتصرت زيارة المزار على إشعال الشموع داخل المزار في الأعياد، ويرتاد المزار من الزوار المؤمنين في يوم عيده ويقدمون الشموع والكبريت، لكي يضاء في كل الأيام وخلال شهر مار يوسف أيضا في جميع الآحاد من السنة، فقد ذكر بشان هذه المزار انه كان له مناسبات خاصة إذ يخرج الناس لزيارته ولاسيما أحاد الصوم الكبيرواستمرت الزيارات قائمة حتى الحرب العالمية الأولى

سنة١٩١٤م،[٢٢] ومرد ذلك حسب ما نرجح هو زيادة الوعي الاجتماعي لدى الناس بفعل التطورات الاجتماعية والتكنولوجية التي يشهدها العالم المتمدن والتي وسعت من مدارك الناس وانعكست نظرتهم لبعض العادات والتقاليد وإعادة النظر فيها.

المراقد والمزارات الدينية لليهود:

من المراقد والمزارات الدينية التي يقدسها اليهود مرقد النبي يونس(يونا).[٢٣] وبحسب التقاليد اعتاد اليهود على زيارته في عيد المظلة الذي يبدأ في الخامس عشر من شهر تشرين الأول، ويستمر أربعة أيام وفق التقاليد اليهودية فان النبي (يونا) توفي في هذا العيد، لذلك عملوا فيه مظلة يجلس تحتها الزوار اليهود بعد أن يدفعوا إلى الحارس المسؤول عن المكان رسوم الدخول، ولم يكن يسمح لغير اليهود بالاقتراب أكثر من التابوت رجالاً ونساءاً وأطفالاً[٢٤].

أما مرقد النبي عوبديا[٢٥] في الموصل فقد اعتاد اليهود زيارته في عيد الأسابيع فيدخلون الى داخله، ويتمددون بجانب القبر، أما المسلمون فلم يعتادوا الدخول إلى داخله، فكانوا يقفون إلى جانب الشباك الذي في الجدار الشرقي ويهمسون فيما يطلبون من النبي[٢٦].

مزارات بغداد:

زيارة مشهد الشيخ عبد القادر الكيلاني:

أما في بغداد فكان لقبور علماء الدين حصة في معتقداتهم، ويسألون دفع مرضهم، أو إيفاء ديونهم، وتوسيع الرزق لهم فكان مشهد الشيخ عبد القادر الكيلاني،[٢٧]من المواقع الهامة التي كانت داخل سور بغداد الشرقية الذي توفي سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م وقد أنشئ عنده مسجد جامع واسع شيده أبو سعيد المبارك بن علي ألمخرمي الفقيه المتوفى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م للهجرة، ويعد المشهد من المزارات الشهيرة في بغداد ويقع في الحضرة الكيلانية في السور المجاور لشارع غازي[٢٨]. ويعتقد زوار المرقد أن الشيخ عبد القادر الكيلاني الطبيب الشافي لكل مرض من الحمى إلى الجنون، فاللواتي يردن الزواج يذهبن لزيارته كل ثلاثاء مدة أربعين ثلاثاء، أما المرأة التي لم تنجب فيكتفي أن تجلب من ماء البئر لتغتسل به حتى تحصل على مرادها، ولابد من الإشارة إلى إن الزيارة لم تقتصر على المسلمات، بل اليهوديات أيضاً لتحقيق طلبهن.[٢٩]

زيارة مرقد الإمام موسى الكاظم:

أما مرقد ألإمام موسى الكاظم فقد كان هذه الموقع في العصر العباسي يسمى (مقبرة قريش) ودفن فيها الكثيرمن العلماء والرموز الدينية إلا انه في بداية القرن التاسع عشر تم هدم هذه القبور، وبني محلها مسجد وضريحين وتم توسيع هذه الأبنية عدة مرات خلال القرن العشرين، ونتيجة لأهمية المرقدين الدينية كان الناس يزورونه ويتبركون به، وفضلا عن مكانة المراقد لدى الشيعة في لعراق والعالم الإسلامي[٣٠] وكانت زيارة موسى الكاظم في الكاظمية يومي الجمعة والسبت وكان بعض العامة من البغداديين عندما يريدون إقامة مشروع جديد، يذهبون لزيارة الإمام موسى الكاظم لطلب الاستخارة فيما ينون القيام به، ويزورونه يوم السبت، وكان بعض العامة يذهبون إلى الكاظم ويربطون ركبة المريض بقفص الضريح ويبقونه هناك طيلة الليل.[٣١] كما أن بعض العامة منهم" يأتون أيام السبت يحملون شمع الكافور، ويجلسون بباب الضريح وهم ينادون مراراً وتكراراً "شمع الكاظم شمع الكاظم.." وما ان يسمع الناس ذلك حتى ينادون عليهم ويشتري كل منهم نصف شمعة من شدة تجمع الناس عليه، ويعتقد هؤلاء أن في هذه الشمعة البركة وتحقيق المراد، وإذا أصابهم همَ أوغَم أوقدوها فتزول عنهم همومهم كما يعتقدون!"[٣٢].

زيارة قبر السهر وردي:

أما قبر السهروردي[٣٣] فتزوره بعض النسوة مرتين في السنة، مرة في العيد الصغير (عيد الفطر) ومرة في (عيد الأضحى)، حيث تجتمع النسوة في يوم الأربعاء، إذا صادف في عيد الفطر، فنجد منهن من نذرت الحناء والشمع، أو شاة يتم ذبحها وهناك من تنذر حلاوة توزعها، وأخرى تنذر (الجريشة)، وهوطعام معروف يعدونهُ مع الأرز والحنطة يخلطونها معا ويطبخونها ثم يوزعونها على الفقراء، وكان البعض من الناس يعتقدون أن الشيخ السهروردي هو الطبيب الشافي لكل من الحمى والجنون، لذا يزورون قبره، لاسيما النساء من كان عندها مجنون فأنها تذهب به إلى القبر ليلة الجمعة وقت المغرب ويداه ورجلاه مقيدة بالحديد، خشية أن يعتدي على الناس ويهرب، ويتركونه مشدوداً بالقفص من المغرب حتى الصباح، وحين يأتون إليه صباحا يعتقدون انه قد شفي، لهذا يأتون إليه بالنذور والذبائح[٣٤].

زيارة مرقد رابعة بنت جميل:

تعتقد بعض نسوة بغداد أن رابعة بنت جميل[٣٥] هي التي تجعل المرأة العاقر تنجب، وهي التي تجعل الإنسان يعيش، وفي المرقد بئر يقولون إن من يسبح فيه من المرضى يشفون، وإذا كان مجنونا رجع إلى عقله، وان كان عندها غائب فيعود غائبها، وان كانت تريد الزواج فإنها تسبح بذلك البئر يوم الجمعة[٣٦] ان هذه الممارسة احدى العادات التي توارثت من الجهّال في المجتمعات..

زيارة مرقد الشيخ محمد الغزالي :

الشيخ محمد الغزالي مدفون في بغداد قرب مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان بعض النساء يتباركن به وللنساء فيه عادات وخرافات، ومن تلك الخرافات قيام النساء العاقرات بإيقاد الشموع في المرقد وتلطيخ القبر بالحناء طلباً لإنجاب الأطفال، أو أن تأتي بسبع شعرات من شعرات امرأة تنجب، وبخيوط بسبعة ألوان،وتخلط الخيوط مع شعر المرأة التي تنجب وتضعها قرب قبر الشيخ محمد الغزالي تحت الحصيرة، وبعد مدة خمسة عشر يوما تأتي إليها برفقة زوجها وتأخذها لتربطها بفخذها الأيمن لاعتقادها بان ذلك يؤدي إلى الإنجاب![٣٧].

كما كان هناك مزارات تتسم بقلة المصادر التي تتحدث عنها مثل ضريح مريم بنت عمران الذي يقع في منطقة الكرادة، إذيزار في يوم الأحد، ومرقد الشيخ السهروردي الذي يزار يوم الاثنين، ومرقد أبو رابعة في الأعظمية يزار يوم الأربعاء، ومرقد إدريس في الكرادة الشرقية يوم الخميس[٣٨]، وتتبع الزيارات الخطوات ذاتها مع مراقد الأولياء والصالحين الآخرين، إلا أنها تكون كل حسب يومه، مثل معروف الكرخي يوم السبت، والإمام أبي حنيفة النعمان يوم الأحد، وأم رابعة يوم الأربعاء، وفي بعض المراقد تتبع خطوات غريبة لتحقيق المراد، فعند قبر الجنيد الصوفي الزاهد، الذي يبعد عن بغداد ثلث أو نصف ساعة توجد الجلاميد الصخرية، فمن يضع هذه الصخورعلى موضع المرض يعتقد اكتسابه الشفاء منه، كما أنهناك قرب القبر بئر ماء يباع مائه بسعر مرتفع، ومن النساء من تعاني من العقم تشرب من ماء البئر، ومن كانت (مثاثا–أي التي تلد الإناث) فبعد شربها للماء يُعتقد إنها تلد ذكورا على أن يكون ذلك يوم الأربعاء،[٣٩] وبالقرب من قبر جنيد يوجد قبر بهلول أو (بيوت بهلول) الذي يزار بعد جنيد، وتمارس فيه أيضا عادة غريبة في أطوارها فمن تريد تحقيق أمنيتها تبني لها بيتا

صغيرا من الأحجار، على شكل مربع أو مستطيل، أو مستديرا يتراوح ارتفاعه إلى ذراع أو نصف ذراع بالقرب من المسجد، وتطلب مرادها، وتنذر له النذر وان لم يقضحاجتها يبقى البيت على حاله(٤٠).

معنى الأيام عند الموصليين والبغداديين:

ظهرت هذه المعتقدات وشاعت في مدينة الموصل منذ القدم وبخاصة في فترة القرن التاسع عشر حتى ساد الجهل مدينة الموصل مع العديد من المعتقدات البالية(٤١)، إذ كان البعض من سكان الموصل يربطون أياما معينة ببعض الخرافات والمعتقدات، فيعتقدالموصليون أن المرأة بعد أن تلد مولوداً ذكراً، ينبغي عليها الذهاب إلى الحمام في يوم الجمعة لاعتقادهم بان هذا اليوم مبارك، أما إذا وضعت المرأة بنتا فيتوجب عليها الاغتسال في يوم السبت، وفي حالة عدم إنجاب المرأة جراء العقم فإنها لا تيأس، إذ تبدأ بالبحث عن الطريق الذي يمكن من خلاله معالجة مسألة الإنجاب، وذلك بالذهاب عادة إلى المراقد المقدسة ومنها على سبيل المثال لا الحصر، زيارة ضريح النبي يونس (عليه السلام) يوم الأربعاء، وبعد أداء مراسيم الزيارة أو تقصد الملالي طلباً للرقية الشرعية أو العزامات بهدف الإنجاب، وعندما لا تجدي تلك الوسائل نفعا تلجأ المرأة إلى غسل ملابس المولود حديثا الذي لم يكمل الأربعين من عمره، وكذلك تلجأ المرأة العقيمة إلى غسل رأس المرأة حديثة الولادة لعل الحظ يصيبها فتنجب، أو القيام بقطع سرة المولود حديثا على ظهر المرأة العقيمة لعله يحصل لها الإنجاب(٤٢).

أما السفر عند بعض الموصليين يوم الجمعة فقدكان مكروها والحكمة في ذلك لأجل أن لا تفوت من الصلوات وذلك تبعا للآية الكريمة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٤٣) أما يوم السبت عند اليهود فقد كان يوم مقدساً إذ يعد يوماً لعطلتهم وراحتهم فكانوا يوقدون ناراً ولا يطفئونها، حتى ولو كانت موقدة (كالمصابيح النفطية)، ومن الجدير بالذكر إنهم كانوا ينجزون أعمالهم يوم الجمعة، ويشمل ذلك حتى إعداد وتهيئة الطعام، واشتهر أكلهم المعروف (التبييت) الذي قوامه كرشة الخروف محشوة باللحم المفروم والتمن.(٤٤) في حين أن يوم الأحد كان مقدساً ويوم عطلة لدى النصارى، إذ اعتقدوا بان" السيد المسيح(عليه السلام) قام من قبره يوم الأحد" والصابئة المندائية هم أيضا كانوا يقدسون يوم الأحد ويعطلون أشغالهم فيه،" لإنهم يعتقدون بنزول (همشبة) احد الثلاث مئة والستين شخصا."(٤٥) أما الأيام المحببة لدى الأكراد لممارسة الأعمال

يومي الاثنين والثلاثاء[٤٦] ويوم الأربعاء عند الأكراد فيعد من الأيام السيئة فكانوا يتحاشون الجدال فيه ولاسيما الأربعاء الأخير من شهر صفر، معللين ذلك؛ أن الجدال في ذلك اليوم يتحول إلى شجار، فضلا عن اعتقادهم انه يوم سيئ يمتنعون عن أعمال معينة غير محببة ومكروهة منها، غسل الملابس وضرب الأطفال والزواج.[٤٧] والطائفة اليزيدية يتشاءمون من أيام الأربعاء والجمعة ويحرمون الزواج في هذين اليومين[٤٨].

أما معنى الأيام عند البغداديين فقد كان لهم اعتقادات فيها، ومن تلك الاعتقادات انه بداية أي عمل معين يجب أنيكون يوم الخميس، أو السبت فيقول اهل بغداد (بارك الله في سبتها وخميسها)، ومن أراد الانتقال من دار إلى دار يجب أن يكون انتقاله أيام الاثنين والأربعاء والخميس، لأنها أيام محببة وتتفائل الناس بها، ولان يوم الأربعاء من الأيام السعيدة الطالع التي تمارس أثنائها جميع الأعمال، أما الخميس فقد وصف اهل بغداد بالكلمات التالية :"الخميس أنيس والدعوة اللي بكلبي ماتخيس"[٤٩]، ويفضل البغداديون عامة القيام بجميع الأعمال من المعاملات والحلاقة أن تكون يوم الثلاثاء أو الخميس، أما الاغتسال بالحمام وقص الأظافر يكون يوم الجمعة، ويكون الزواج في أيام الاثنين والخميس والجمعة، وخياطة أو شراء الملابس تكون في يوم الاثنين والجمعة، ومن كان ينوي السفر يجب أن يكون سفره يوم الأربعاء والمبيت في بيت احد الأصدقاء ليلة الأربعاء يعتقد بأنه جالب للحظ[٥٠]، ويفضل البغداديون القيام بكافة الأعمال التجارية والإدارية والحرفية والأعمال ألبيتية وغيرها من الأعمال الأخرى في الصباح، والابتعاد عن القيام بأي عمل في الليل[٥١].

وفي كل شهر خمسة أيام منحوسة الطالع وهي: الثالث والخامس والثالث عشر والسادس عشر والحادي والعشرون، والتي أثنائها يفضل الامتناع عن السفر والتجارة والشروع بأعمال البناء والتعمير وحتى تفصيل الثياب الجديدة [٥٢].

وأورد المستشرق الألماني بيترمان الذي زار بغداد سنة ١٨٥٤ وأقام بها مدة تجاوزت خمسة أشهر، استطاع من خلالها أن يدرس أحوال البلاد وشؤون سكانها، إذ تحدث عن معتقدات البغداديين في تلك الأيام، "ومنها اعتقادهم بأيام الأسبوع المختلفة وتخصيص كل يومان منها لعمل من الأعمال فقد كان يوم الجمعة يخصص للنساء، ويوم السبت للصيد، ويوم الأحد لتشييد الدور وترميمها، والأربعاء لتعاطي الأدوية وتناولها، والخميس للشغل والزيارة وتقليم الأظافر

وحلق الشعر"[٥٣]. إلا انه لم يذكر عمل يومي الاثنين والثلاثاء. قديكون مبالغا فيه ان ما أورده المستشرق بيترمان سنة ١٨٥٤م قابل للصواب والخطأ وهو ربما يكون قد سمعه من الأهالي في مدينة بغداد أثناء مكوثه فيها.

وكما كان لكل يوم عمل كذلك لكل شهر عمل، إذ يعد شهرا محرم وصفر شهراً نحساً، فلا يعقد فيها الزواج ولا يشرع فيها بأي عمل سواء كان تجارياً أم حرفياً، وفي يوم الأربعاء الأخير من صفر يخرج الناس في نزهة، فإذا عادوا قاموا بكسر جرة بعد أن تملأ بالماء ويوضع فيها قرش أمام البيت وتقول إحدى النساء "راح الشر وانتشر على الشوك والشجر"، ومن ثم يغسلون الوجوه والأيدي للتطهير، وإذا حل شهر رجب وشعبان فيتفاءل الناس بالخير، ويحبب فيه السفر والشروع بأي عمل كان، ويعد شهر رمضان من أفضل الشهور لإقامة الشعائر الدينية وخاصة في الليالي العشرة الأواخر حيث تُعد أفضل الليالي، إذ تفتح أبواب السماء وتُستجاب الدعوات فتكون الصلوات بين مغرب الشمس وشروقها لغفران الذنوب وليدوم الخير طوال العام[٥٤].

تقليم الأظافر عند الموصليين:

كان لأهل الموصل اعتقادات خاصة في تقليم الأظافر منها استحباب قص الأظافر خلال أيام الأحد والاثنين والخميس وعدم قصها يوم السبت لأنه يُعد تقليداً لليهود[٥٥]، أما تقليمالأظافر عند البغداديين فقد أشار المستشرق الألماني بيترمان، إلى أن تقليم الأظافر كان يجري بتسلسل وفق سياق خاص وقواعد معينة،فقد كانت أظافر اليد اليمنى تقلم أولا (طبقا للسنة النبوية المطهرة إذن هذه ليست خرافة أو معتقدات بل سنة تجري على المسلمين ومن ثم أظافر اليد اليسرى، على أن يبدأ بالسبابة فالوسطى فالإبهام فالخنصر فالبنصر، أما في اليسرى فقد كان يقلم الإبهام أولا ثم الوسطى فالسبابة فالبنصر وأخيرا الخنصر[٥٦].

يتضح مما تقدم إن المجتمعان الموصلي والبغدادي كانا يؤمنون بتلك المعتقدات، إلا أن الدين الإسلامي كان يجيز قص الأظافر لأنها سنة تجري على المسلمين[٥٧].

النذور:

النذور مفردها نذر والنذر لغة: النَّذْرُ النَّحْبُ، وهو ما يَنْذره الإنسان، فيجعله على نفسه نَحْبًا واجبًا، وجمعه نُذُور، واصطلاحًا: هو أن يوجب المكلَّف على نفسه أمرًا لم يلزمه به الشارع[٥٨].

أما من ناحية تقديم النذور فنجد أن البعض من أهالي الموصل اهتموا بالنذور كوسيلة لتحقيق أمانيهم وحاجاتهم، وهنالك العديد من الأمثلة التي توضح ذلك، ففي حالة النذور المتعلقة بالأطفال نجد أن بعض النساء يعتقدن أن النذور تساعد على عدم وفاة أطفالهن، وتحقق لهن ولادة أطفال ذكور، فنجد أنهن ينذرن نذور مختلفة منها أن تنذر الأم أن تستجدي (تشحذ) له من أربعين شخصا، والنقود التي تجمعها من الاستجداء، تشتري بها قطعة حلي ذهبية تسمى (محمدية) مكتوب عليها اسم محمد (ﷺ) أربعين مرة، لحفظ الطفل[٥٩] وإن عاش صبيهم المولود حديثاً، فيقدمون النذور لوجه الله تعالى حتى يحين موعد حلاقته الأولى، وعندما يحين موعد حلاقته يذهبون به إلى الحلاق ويحلقوا شعر رأسه ثم يَزِنون الشعر المقصوص بمثله وزنه نقداً عند الفقراء، أما الموسرون فَيزِنون بمثل وزنه ذهبا، إلا أن أهالي الموصل قد مارسوا حلاقة الأطفال في البيوت[٦٠].

ومن ضمن النذور التي تقدمالطعام،ففي الموصل كان نصارى الموصل ينذرون النذور ومن ضمن النذور طبخة (وليمة المسيح[٦١]) تنذر عندما ينال المنذور مراده، فتطبخ يوم الجمعة التي تسبق عيد القيامة، ويأخذوها إلى الكنيسة ليتناولها زوار الكنيسة أثناء خروجهم، بتناول ملعقة أو ملعقتين من هذه الطبخة، وقد ينذر احدهم وهو يتناول الطعام إذ يقوم بإعداد طبخة مماثلة كنذر في حالة بلوغ مراده[٦٢]. أما في بغداد، فتنذر النساء لتحقيق مرادهن سُفرة طعام أو سُفرة خروف أو دولمة أو الشيخ محشي، فبعد الانتهاء من تجهيز أو أعداد الطعام بحضور بعض نساء المحلة، تخرج المرأة الناذرة حاملة الطعام ومعها نساء المحلة وأقاربها، يهلهلن ويصفقن، ويحملن الطعام والشموع، ويسير أمامهن الطبال والزمار، فُيقرع على الطبل من البيت حتى وصول المرقد إذ يتناول الحاضرون الطعام، أما في حالة لو نذرت شمعة وحنة يأتي بها إلى المرقد المنذور له وتطلى أبوابه بالحناء، وتشعل الشموع في المرقد[٦٣].

وتتبع الخطوات نفسها عند نذر الخروف ماعدا ذبحه أمام المرقد، أما إذا كان النذر إقامة مولد نبوي شريف فتجلب الشموع والحنة وبعض النقود وتوزع على خدمة المرقد ثم يقرأ المولود من قبل شيوخ الطريقة[٦٤].

السحر:

إن السحر لدى الموصليين والبغداديين متشابه، إذ يؤمن البعض من المجتمعين (الموصلي والبغدادي) إيمانا كبيرا بالسحر، فكان طريقاً لحل المشاكل والخلافات التي تحصل بين أفراد الأسرة، فتعمد المرأة لإيجاد وسيلة للتخلص من الظروف القاسية التي تعيشها من جراء التعصب والعادات القديمة، كاقتران زوجها بزوجة ثانية، وقلة اهتمام زوجها بها وانصياع الزوج لتدخلات أمه في حياته الزوجية،[٦٥] كما تذهب المرأة إلى السحرة لغرض تزويج بناتها أو لفتح رزق ابنها وزوجها، أو حتى التدخل في شؤون الغير بتقريب أو إبعاد الزوج عن زوجته حسب إتباع طرق مختلفة من السحر، أما في المجتمع البغدادي فالأوضاع متشابهة الى حدما[٦٦].

أما في حالة حصول سرقة مال أوأثاث ويصعب العثور عليه، أو للانتقام من شخص ما، أو غير ذلك فتلجأ الزوجة في المجتمع الموصلي والبغدادي إلى الاستعانة بالسحرة والمشعوذين لإعداد الطلاسم وبخاصة اليهود، الذين اشتهروا بقوة سحرهم وقدرتهم الفائقة وبراعتهم في إعداد الوصفات السحرية التي طالما أدت إلى حدوث موت أو مرض مزمن لا شفاء منه[٦٧]. يتضح مما تقدم أن لجوء الزوجة أوالأم إلى الساحرة دليل على اعتقادها وقناعتها بان هذا الفعل ستحصل به على مرادها من الأعمال السحرية، في حين أن السحرة استغلوا سذاجتهن بكتابتهم بعض الطلاسم التي لا تجدي نفعا.

المعتقدات المتعلقة بالحيوانات :

تتشابه المعتقدات بين المجتمعين الموصلي والبغدادي في معتقداتهم المرتبطة بالحيوانات، فللموصليين اعتقادات فيما يتعلق بالطيور، فقد كانوا يتطيرون من مشاهدة الغراب كونه يمثل شؤما أو يعقبه نذير شربوفاة احد أفراد الأسرة، ولذلك كانوا يهرعون لدى سماعهم نعيق الغراب إلى القول بكلمتي (سكين وملح)، أما إذا حط غراب على احد المنازل فذلك يمثل البلاء والمصائب التي ستحل بأهل المنازل، وإذا نق الغراب بعد الظهر حتى المساء يكون شرا مع بعض الاختلاف عند البغداديين الذين إذا نق الغراب عندهم في الصباح يستبشر أهل البيت خيراً، أما عند نعيب البوم على السطح، فذلك دليل على التشاؤم، فيجب على صاحب البيت في الصباح أن يتصدق على الفقراء، وفي مقابل ذلك فقد كان لأهالي الموصل تصورات عن عراك العصافير في المنزل، فهي دلالة بشرى بهطول الأمطار أو قدوم مسافر أو تشاؤم لوقوع خطر محدق بالعائلة[٦٨]. أما إذا هجم سرب من العصافير على ساحة البيت وهن يزقزقن بشدة قبل

قدوم ضيف عزيز، ومن الجدير بالذكر ان خلو البيت من العصافير دليل على جلب التشاؤم،وإن المرأة الحامل تكثر من الإنصات إلى صوت البلبل، ليكون صوت الطفل عذبا وإذا تأخر الطفل في النطق تقوم المرأة بوضع إناء فيه ماء في قفص البلبل، وبعد أن يشرب منه تعطي بقية الماء إلى طفلها ليشربه وتفعل ذلك بعد سبعة أيام(٦٩) لاعتقادهم بأن ذلك يساعد الطفل على النطق، أما مشاهدة الأفعى فإنها تُعد احد الرموز التي يعتقد أهل الموصل بأهميتها،فهم لم يسمحوا بقتلها مادامت بالبيت، وعندما تشاهد داخل البيت يخاطبونها بصوت مرتفع ومسموع "ياحيةياحية البيت لا تأذينا ولا نأذيكي، أنت أم البيت وأحنا خطاركي "لاعتقادهم بإنها بركة وخير لصالح أهل البيت(٧٠).

كان لأهالي الموصل عند مشاهدتهم الحية في أيام معينة ولاسيما (السبت والأحد والجمعة)، اعتقادات منها، إذا ظهرت في الدار يوم السبت قالت النساء إنها يهودية، وعندها تقف ربة البيت قائلة "سايمين عليج موسى بن عمران اطلعي من بيتنا) أي نقسم عليك بالنبي موسى بن عمران أن تخرجي من دارنا،"وإذا ظهرت يوم الأحد قالوا أنها نصرانية فيبدل القسم بعيسى بن مريم أن تخرجي من دارنا، "أما إذا ظهرت يوم الجمعة قالوا عنها أنها مسلمة وفي هذه الحالة يضعون في الموضع "الذي خرجت منه الحية ماءاً وملحاً في إناء ويقولون أكلت من زادنا وملحنا، وإنها لا تقصد بعد ذلك إيذائنا"(٧١) أما في بغداد فإذا وجدت الأفعى السوداء يجب التخلص منها عن طريق وضع البطيخ في زوايا البيت فتضطر الأفعى إلى ترك الدار، وفي حالة الأفعى بيضاء اللون فتعد خير وبركة في البيت لذلك يوضع إناء فيه ماء صاف وفيه شيء من الملح، ولابد أن تشرب منه الأفعى وبهذا لا تؤذي أحدا وتصبح صديقة العائلة(٧٢).

وهناك تميز بين القطة البيضاء والهرة السوداء فالقطة ذات العين الصفراء فهي خير على البيت، أما الهرة السوداء فعلى أهل البيت ان يتحاشوا إلحاق الأذى بالهرة السوداء على اعتبار إنها جني شرير(٧٣). وحتى في السنة النبوية المطهرة هناك أحاديث تشير إلى ضرورة التعوذ من الشيطان الرجيم عند مشاهدتها. كما جاء "حَدَّثَنَا أَبُو بِشْرٍ بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ قَالَ: حدثنا غُنْدَرٌ قَالَ: حدثنا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ صَفِيَّةَ بِنْتَ شَيْبَةَ تَقُولُ: كَانَتِ امْرَأَةٌ تُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَى مِرْفَقَةٍ، فَمَرَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمِرْفَقَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إِنَّمَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ، وَالْهِرُّ الْأَسْوَدُ."(٧٤)

اتسمت بعض الأسر البغدادية بهواية تربية الحيوانات مثل: السلحفاة والطيور والأرانب التي تربى مع الطفل لأنها تسبب له البقاء، إلا أن النساء تتشائم من وجود الأرنب إذا كان البيت قديما، لان الأرنب يسبب الحفروقد يصل الأساس فتسبب هدم الجدران أما وقد كان لجمال الغزال ابتهاج المرأة الحامل لاعتقادها إذا نظرت إليه يكون وليدها مثل رقبته أوعيني الغزال وبعض الحيوانات تربى لإحلال الخير والبركة في البيت وللأفادة من لبنها هناك رعاة من الريف يأتون الى كل بيت ومن ثم يذهبون إلى ضواحي المدينة حيث الأدغال ويعودون بالحيوانات قبل غروب الشمس(٧٥).

المعتقدات والأساطير (الفلك والنجوم):

ومن الأساطير التي يؤمن بها كثير منالمجتمعين الموصلي والبغدادي والمتعلقة بالفلك والنجوم، فمثلا تعتقد عامة الناس في الموصل إذا السماء أمطرت في يوم الجمعة، فان المطر سيستمر بالهطول دون انقطاع أسبوعا كاملا، أي إلى الجمعة القادمة، أما الأكراد فيعتقدون أن السماء إذا أمطرت يوم الجمعة فستصحو يوم السبت، وإذا أمطرت يوم السبت فان هطول الأمطار سيستمر أياما عديدة، أما عند البغداديين فحينما تمطرُ السماء مطراً خفيفا فمعنى هذا حسب معتقداتهم أن الشمس تغسل رأسها(٧٦).

ومن الأساطير التي يؤمن بها بعض الموصلين أيضاعند خسوف القمر،أن الحوت يبتلع القمر وأثناء حدوث هذه الظاهرة يعمد الناس إلى دق الدفوف وإعلاء الضجيج لإفزاع الحوت اللعين فيقولون مرددين:"يا حوته يا منحوته هدي كمرنا العالي" وإذا كان لون القمر عند الخسوف مائلا إلى الحمرة فهو دليل حرب، أما إذا كان كالح السواد فتقع مصائب ومصاعب ووفيات والتحديق في القمر ليلا يسبب الحول(٧٧)، وأشار الرحالة تيفنو مثلا إلى حالة حدوث الخسوف في الموصل، وردود أفعال سكانالمدينة تجاه هذا الحدث قائلا ":ابتدأ الخسوف بعد انتصاف الليل ساعة ودام حتى الساعة الرابعة صباحا، وكان منظر ذاك الكوكب احمر كالدم أثناء المدة كلها فاخذ الناس يحدثون ضجيجا متواصلا بضرب العصي على القدور، وكل ذلك من أجل تخويف حيوان مهول يهم بابتلاع القمر وفق اعتقادهم وقد علمت من احد العقلاء بأن صاحب هذه الخرافة كان أحد المنجمين "،ثم يردف قائلا:"على أية حال فان عادة إحداث الضجيج بضرب القدور وقرع الطبول عند الخسوف من اجل انتشال القمر من شر الحيوان موجودة عند الرومانيين الأقدمين"(٧٨)، وهناك اعتقاد سائد لدى أهالي الموصل ومعظم الشرقيين مفاده إن كل

مسافر أوربي هو طبيب[٧٩]، وقد أكد هذا عدد من الرحالة الذين زاروا المدينة،ولذلك كان السكان يستشيرون الرحالة الأوربيين وغيرالأوربيين، وقد أشار إليه أبو طالب بالقول:" وسكانها (أي الموصل) يشتاقون إلى الأطباء اشتياق المريض المحروق بالحمى إلى قطرة الماء التي تعيد إليه الحياة والنماء، واني اعرف شيئا من الطب وقد سعيت بعلاج مريض أو مريضين فشفو"[٨٠]، ثم يضيف منوها إلى سرعة انتشار الخبر خبر معالجته للناس في العراق قائلا:"وشاع ذلك [أي الخبر] في جميع البلد، وفي سياحتي إلى بغداد أزعجت في كل موضع بكثرة المرضى الذين يأتون من القرى المجاورة له يستوصفون الدواء لما فيهم من الداء..."[٨١] فضلا عن ذلك يشير الرحالة دومينيكو لانزا إلى أن الشرقيين يظنون أن العلماء الأوربيين واسعوا الاطلاع في كل فرع من العلوم وان لهم الماما خاصا بعلم استطلاع ألغيب والمستقبل ويشير قائلا:"كانوا يظنون بي، وما كانوا يصدقونني حيث كنت أقول لهم إني لا علم لي بكشف الغيب إذ لا احد غير الله يعلم المستقبل"[٨٢].

أما أسطورة الكرة الأرضية فيتفق المجتمعان الموصلي والبغدادي عليهاوالتي مفادها ان ثوراً يحمل على قرنه الكرة الأرضية، إلا أن هناك فوارقٌ واختلافات في اعتقادات المجتمعان، فالعامة لدى المجتمع الموصلي يعتقدون كلما حرك الثور قرنه تكون زلازل وهزات، فإذا اهتزت الأرض وطلب الإنسان مراده أثناء الهزة (ألهزي) نال مراده أو مطلوبة، أما عند المجتمع البغدادي فيعتقدون العامة من البغداديين عندما يحمل الثور الكرة الأرضية على قرنه فيحولها كل سنة من قرن إلى قرنه الآخر، لان الثور يتعب فيراوح بينهما، وحينما تدور السنة تتحول من قرن إلى أخر، وان الأساطير كثيرة في هذا المجال وتكون حسب الحيوان الذي تدور عليه الكرة الأرضية، فحين تدور الكرة الأرضية على جاموسة أو قردأو دجاجة أو جرذي فُتعد سنة شؤَميكثر بها الموت وتقل الخيرات، وإذا دارت على ثعلب فبيوت تظلم ويزيد فيها النوح والبكاء وإذا دارت على ضفدع كثر الهرج والمرج في الأسواق أما إذا كانت تدور على حصان أو أفعى فانهما تكون سنة خير [٨٣].

الخاتمة :

في ضوء ما تقدم يتضح لنا مايأتي :

١-يتضح مما تقدم ان هناك تشابها في المعتقدات الشائعة بين المجتمعين الموصلي والبغدادي مع اختلاف في بعض الفوارق قد ينفرد بها أحيانا مجتمع الموصل عن مجتمع بغداد،وعموما يتضح التقارب والتشابه بين المجتمعين.

يتضح مما تقدم أن لدى المجتمعان الموصلي والبغدادي أماكن مقدسة خلال فترة الدراسة تحظى بالاهتمام والتقديس من قبل أفراد المجتمعان منها المراقد والأضرحة التي يفترض إنها تكون قبوراً للأولياء والصالحين، وتبعا لذلك تتخذ الطريقة العلاجية المرتبطة بزيارة الأضرحة في المجتمعين الموصلي والبغدادي أشكالا متعددة منها طلب الحاجة من صاحب المرقد أو الضريح وتوقع تحقيقها أو تقديم النذر له في حالة تحقيق مطلبه أو أمنيته.

أما الدين الإسلامي فلا يعترف بمقامات أو أضرحة الأولياء، وقبورهم كقبور سائر موتى المسلمين تحرم الصلاة فيها والطواف بها ومناجاة من فيها والتمسح بجدرانها، ويحرم وضع أستارعليها وإيقاد الشموع، إلا أننا نجد أن أفرادا من المجتمعين الإسلاميين الموصلي والبغدادي قد امنوا بمثل هذه المعتقدات بسبب انتشار التصوف، وأكثر من يلجأ من الناس إلى زيارة الأضرحة هم أولئك الذين يعانون من الجهل والأمية ومصابون بعلة مرضية أو إصابة معينة.

الهوامش :

١-اسعد ميخائيل، سيكولوجية الاعتقاد والفكر،(القاهرة،١٩٨٨)، ص ١٩.

٢-مدكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية،(د.م،١٩٨٣)،ص ٨٠؛ أنور قاسم يحيى، "المعتقدات الخرافية لدى طلبة الجامعة "،مجلة آداب الرافدين،العدد(٥٤)،٢٠٠٩،ص ٤٥٩.

٣-الضريح :"هو بناء شيد خصيصا ليضم جثمان ميت،اسم ضريح مأخوذ من اسم(موسولس) ملك (عاريا) في أسيا الصغرى. ..وتشييد الأضرحة للموتى والملوك ورجال الدين منهم الخاصة ظاهرة منتشرة بين الشعوب البدائية والمتحضرة الغائرة منها والحاضرة"؛عبد الرزاق صالح محمود، زيارة الأضرحة والمراقد(ضريح عمر مندان انموذجا دراسة اجتماعية طبية)،مجلة دراسات موصلية، العدد(١٩)، شباط ٢٠٠٨، ص ١٢٢.

٤- يقع في الجهة اليسرى من نهر دجلة في جنوب نينوى تل كبير تقع عليه قرية نينوى يسمى تل التوبة سفحه الغربي يقع جامع النبي يونس، سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، تقديم أ.د . أبي سعيد الديوه جي، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى،(بيروت،٢٠١٤)، ص ٩٥.

٥- فخري حميد القصاب، التقاليد والعادات الشعبية التي تختص بيوم معين من أياماالأسبوع (٤) مجلة التراث الشعبي، العدد (١)، السنة ٤١، (بغداد، ٢٠١١)، ص ٨٦ ؛ العاني،المصدر السابق، ص ٧٢؛ عبد الباري عبد الرزاق، "النذور في الموصل "، مجلة التراث الشعبي،العدد(٨)، السنة السادسة، ١٩٧٥، ص ١٠٨.

٦-ضريح أو مشهد علي الهادي، يقع في محلة المحموديين في الموصل وبه قبر مكتوب عليه (قبر حسين بن شريف ...رحمه الله استنادا الى هذه الكتابة الى ان هذه المشهد لم يكن مشهد علي الهادي وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ منه مشهدا للإمام علي الهادي .؛ العاني،المصدر السابق،ص ٧٦ من هامش٨.

٧- القصاب، المصدر السابق، ص ٨٦.

٨-القرني: ويقع ضمن جامع السلطان ويس في المحلة المسماة باسمه إلا أنه الآن غير موجود وقد تهدم وعرف بالأوساط الشعبية بهذا الاسم (القرني) إلا أن الأستاذ سعيد الديوه جي ذكره بهذا الاسم (ادريس القرني) وهو احد الصالحين،الديوه جي، المصدر السابق، ص ٩٥؛العاني، المصدر السابق ص٧٦من هامش ٢.

٩-المصدر نفسه، ص٧٤.

١٠-المرقد: "هو مبنى أو قبر أو مكان مدفون فيه شخص مقدس، كما يعبر المرقد أو المقام عن مكان لتقديس للاعتقاد بأنها مسكن لروح، وتحفظ في المقام ذي البناء المشيد أشياء مقدسة أو تقام فيه أو حوله الصلوات او الاحتفالات الدينية وتقرب له القرابين ..."للمزيد من التفاصيل ينظر محمود، المصدر السابق، ص ١٢٢.

١١-الشيخ فتحي :يقع مرقد الشيخ فتحي في المحلة المسماة محلة الشيخ فتحي إلى الشمال من باب سنجار.ويقال ان المرقد يضم رفات (الفتح بن وشاح الأزدي الموصلي) المتوفى سنة ١٧٠م ؛ مجلة التراث الشعبي، العدد(٥)،السنة ٤٢،ص ٧٦ من هامش ١.

١٢-مثري العاني،"من عادات العناية بالطفل قديما"، مجلة التراث الشعبي،العدد(٥)، السنة١٠، ١٩٧٩، ص٧١.

١٣- مرقد أر محمود،هو محمود بن اوركان بن محمد يرتقي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم وتوفي حسب اثر قديم في المرقد عليه اسمه وتاريخ وفاته في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٥م؛ جعفر التلعفري،موجز تاريخ تلعفر،(بغداد،٢٠١٢)،ص ١٢٠.

١٤-جاءت تسميتها نسبة الى مؤسسها محمد بن إبراهيم بن موسى الخراساني(حاجي بكتاشي)من أتباع زعيم البابية، وبكتاش لقب تركي يقارب معنى الأمير مر من خراسان هاربا،عاصر جلال الدين الرومي واحتج على البدع التي تضمنتها الطريقة المولوية كما عاصر احمد الرفاعي وانتشرت البكتاشية في الاناضول ولعبت دورا مهم في حياة الدولة العثمانية ...للمزيد من التفاصيل ينظر: كامل مصطفى الشبيبي دائرة المعارف الإسلامية مادة بكتاش؛ص ١٧٨.

١٥- المصدرالسابق،ص ١٢٠.

١٦- المصدر نفسه،ص ص ١٢٢-١٢٣.

١٧-المصدر نفسه،ص ١٢٤؛

Studying the P enetration of Semitic Myths in Persian Poems,VahidehN.Chegini

Journal: Studies in Literature and Language **ISSN**: 19231555 **Year**: 2011 **Volume**: 3 **Issue**: 2 **Pages**: 37-41 **Provider**: DOAJ **Publisher**: Canadian Academy of Oriental and Occidental Culture (CAOOC) **DOI**: 10.3968/j.sll.1923156320110302.453

١٨- سورة الشورى :الآية ٤٩.

١٩- سورة الشورى: الآية٥٠.

٢٠- علي الشيخ إبراهيم التلعفري،"خضر الياس عيد تلعفر"، مجلة التراث الشعبي،المجلد الأول،العدد(٤)، السنة الأولى،كانون الأول،١٩٦٩،ص ٢٧.

٢١-القوش: باللغة السريانية بلدة تقع في شمال العراق على بعد اربعين الى خمسين كيلو متر شمال مدينة الموصل وهي تابعة لمحافظة نينوى تقع هذه القرية على سلسلة جبلية تفصل محافظتي نينوى ودهوك ؛ الموسوعة الحرة ويكبيديا

.m . wikapedia.org.http:s//ar

٢٢- المطران يوسف بابانا مطران، القوش عبر التاريخ،(بغداد، ١٩٧٩)،ص ص ١١٩-١٢٠.

٢٣- "يقع هذا المرقد ضمن أطلال العاصمة الأشورية القديمة نينوى فوق تل يعرف بتل التوبة بالجانب الأيسر لنهردجلة؛علي شيت محمود الحياني، اليهود في الموصل ١٩٢١-١٩٥٢اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل،٢٠١٢)،١٦٥.

٢٤- الميجرسون رحلة متنكر إلى بلاد مابين النهرين وكردستان،ترجمة وتعليق فؤاد جميل،(د.م،١٩٧٠)،ص ١٢٠؛ وسن حسين محيميد،" المراقد الدينية اليهودية في العراق "بحث مستهل من كتاب يهود العراق موسوعة شاملة لتاريخ يهود العراق ق وشخصياتهم ودورهم في تاريخ العراق الحديث، إعداد وتقديم وتحرير مازن لطيف، ط٣، (بغداد،٢٠١٣)،ص ٦٣؛ الحياني، المصدر السابق، ص ١٦٥.

٢٥- عوبديا، اسم عبري معناه (عبد يهوه)، والنبي هو رابع أنبياء بني إسرائيل الصغار عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كتب سفر من أسفار التوراة عرف باسمه،؛ الحياني، المصدر السابق، هامش ٥ من ص ١٦٥.وللمزيد من التفاصيل ينظر:عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهوينة، القاهرة، (بيروت، ١٩٩٩)،ص ١٢٣.

٢٦- الحياني،المصدر السابق،ص ١٦٥؛ مازن لطيف، المصدر السابق، ص ص ٦٣-٦٤.

٢٧- الشيخ عبد القادر الكيلاني :يعد من أكابر العلماء والوعاظ والزهاد ولدسنة٤٧٠ه/١٠٧٧م وتوفى سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، وهو صاحب الطريقة، المساة باسمه ومدرسته لا تزال قائمة واصلها لأستاذه أبي سعيد المخزومي بناها بعد مدرسة الاعظمية بنحو ٣٥ سنة والشيخ الكيلاني دفن فيها..ومن مؤلفاته فتوح الغيب والغنية، وان مدرسته تُعد من أقدم المدارس في بغداد، ولا توجد هذا اليوم مدرسة أقدم منها ؛ رحلة المنشئ البغدادي إلى العراق، ترجمة عباس العزاوي، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٣٩ من هامش ٣٠.

٢٨- محلة باب الشيخ على شبكة الانترنيت :

.http://gilgamish.org

حلقة من محلات بغدادية من قناة الحرية الفضائية برنامج من اعداد حيدر الحيدر .http://gilgamish.org GILGAMISH

٢٩- انستاس ماري الكرملي، مزارات بغداد باللهجة العامية البغدادية، تحقيق د.باسم عبود الياسري مراجعة وتقديم د.طالب البغدادي،جمع الأب انستاس ماري الكرملي، (بيروت، ١٩٤٧)،ص ص ٤٤-٤٥.

٣٠- مازن لطيف، موسوعة الأضرحة والمزارات العراقية،دار ميزوبوتاميا، (بغداد،٢٠١٣)، ص ١٦١.للمزيد من التفاصيل عن الحضرة الكاظمية؛ د. علي توينى، المشهدألكاظمي ويكبيديا الموسوعة الحرة على الرابط http://ar.wikapedia.org

٣١- الكرملي، المصدر السابق، ص ص ١٠٢

٣٢-المصدر نفسه، ص ١٠٣.

٣٣-هو الشيخ شهاب الدين،ابن أخي الشيخ نجيب السهر وردي كان من أكابر الزهاد صاحب الطريقة السهر وردية، شاعت كثيرا وتولى عدة ربُط بنى له الخليفة الناصر لدين الله رباط المرزبانية على نهر عيس توفي سنة ٣٢هـ / م عن ٧٢سنة ودفن في الوردية في تربة عملت له على جادة سور الظفرية، وله كتاب (عوارف المعارف) نال مكانة كبيرة ونقل إلى الفارسية، ترجمة عباس العزاوي، رحلة المنشئ البغدادي إلى العراق(بيروت، ٢٠٠٨)،ص ٣٩.

٣٤-الكرملي، المصدر السابق، ص ص ١٥١-١٥٢.

٣٥-هي رابعة بنت جميل من أهل التصرف عابدة وناسكة من أهل الورع والتقوى والصلاح هي مدفونة في بغداد قرب مرقد الإمام الأعظم رضي الله عنهما؛الكرملي، المصدر السابق،ص ١٧٥؛

منتديات الرميثة "أقلام مبدعة "على الرابط http://www.rumaitha.net

٣٦-الكرملي، المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢.

٣٧-المصدر نفسه، ص ص ١٥٧، ١٦٣. للمزيد من التفاصيل ينظر: عفيف الدين عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني المكي ت(٧٦٨ه/١٣٦٠م)، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص ١٠٧، ١٠٩.

٣٨- منتديات الرميثة "اقلام مبدعة "على الرابط http://www.rumaitha.net

٣٩- مسلم بغداد، "خرافات أعوام البغداديين"، مجلة لغة العرب،المجلد(٣)،الجزء (٩)،ربيع الثاني ١٣٢٣هـ- آذار ١٩١٤م، ص ص٤٥٠-٤٥١؛ فردوس عبد الرحمن كريم اللامي، الحياة الاجتماعية في بغداد ١٨٣١-١٩١٧اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد،(٢٠٠٢)،ص ٢٥٦.

٤٠-بغداد، المصدر السابق، ص ٤٥١؛ اللامي، المصدر السابق،ص ٢٥٦.وللمزيد من التفاصيل ينظر: عفيف الدين عبد اللهبن اسعد اليافعي اليمني المكي ت٧٦٨هجرية،روض الرياحين في حكايات الصالحين، (د/م،د/ت)،ص٧٩، ١٠٩، ١٥١ .

٤١-مقابلة شخصية للباحثة مع الأستاذ الدكتور ذنون الطائي بتاريخ ٢٠١٧/١٢/١٢.

٤٢- لطيف بندر اوغلو، التركمان في عراق الثورة،(بغداد،١٩٧٣)،ص ص٩٢-٩٣.

٤٣- سورة الجمعة الآية :٩.

٤٤- فخري حميد القصاب،"أيام الأسبوع في التقاليد والعادات الشعبية، مجلة التراث الشعبي العدد (٤)، السنة الحادية والأربعون،٢٠١٠، ص ١١٦.

٤٥- فخري حميد القصاب،"التقاليد والعادات الشعبية التي تختص بيوم معين من أيام الأسبوع (٤)"،مجلة التراث الشعبي، (العدد الأول)،السنة ٤٢، ٢٠١١، ص ٦٤.

٤٦- المصدر نفسه، ص ٦٦.

٤٧-القصاب، التقاليد والعادات الشعبية التي تختص بيوم معين من أيام الأسبوع، مجلة التراث الشعبي، العدد(٤)، السنة،٤٢، ٢٠١٠،ص ١١٦.

٤٨- القصاب، المصدر السابق، العدد (٤)، ص ٨٧؛ مجلة التراث الشعبي،العدد(٤)،السنة٤٢،٢٠١١، ص٧٠.

٤٩-ميري بصري،صفحات رحلة الرحالة نيجهولت،جريدة البلد، العدد(٨٢٢)، ٧ شباط ١٩٦٧.

٥٠-المصدر نفسه، ص ص ١١٥-١١٦؛اللامي، المصدر السابق، ص ٢٥٧.

٥١- اللامي، المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

٥٢-القصاب، المصدر السابق، العدد (١)،ص ٦٤.

٥٣-القصاب،المصدر السابق، العدد٤، ص ١١٤.

٥٤- اللامي، المصدر السابق، ص ٢٥٧؛ القصاب، المصدر السابق، العدد(٤)، السنة٤١، (بغداد،٢٠١٠)، ص١١٤.

٥٥- اسحق عيسكو،" الخرافات الشائعة، مجلة التراث الشعبي، العدد(١١)، السنة ١، تموز١٩٧٠، ص ٩٦.

٥٦- فخري حميد القصاب، التقاليد والعادات الشعبية التي تختص بيوم معين من أيام الأسبوع(٢)، مجلة التراث الشعبي، العدد(٤) ،٢٠١١،ص ٦٦.

٥٧- التحفة البهية في الأحاديث المكذوبة على خير البرية،للعلامة محمد الأمير الكبير المالكي المتوفى سنة ٢٢٨هـ المكتب الإسلامي .؛صحيح مسلم، الجزء الأول، ص ٢٥٨.

٥٨ -ناصر الحلواني، "النذر: أنواعه وأحكامه"، شبكة ألوكه الشرعية.
http://www.alukah.net/sharia/0/25055/#ixzz3308w63C5

٥٩-النجم المصدر السابق، ص١٠٩.

٦٠- سمية ألعبيدي،"ممارسات بغدادية تراثية تتوسط الأطفال"،مجلة التراث الشعبي، العدد (٢)،السنة ٤٤،٢٠١٣،ص٩٢.

٦١-تصنع من الكعوب عروق وليمة المسيح حيث يفرم البصل، ويضاف على الزيت حتى يشقر لون البصل فيضاف إليه الكعوب المفروم، ثم الماء وحبات العدس غير المجروش والمدقوقة الحبية وتطبخ هذا المواد حتى تنضج ويضاف إليها الملح، القصاب، المصدر نفسه، العدد (٤)، ٢٠١١،ص ٦٩.

٦٢-المصدر نفسه، ص ٦٩.

٦٣-الكرملي، المصدر السابق، ص و٤؛ اللامي، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

٦٤- اللامي، المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

٦٥- المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

٦٦- عبد العباس عبد الجاسم،"المرأة في المجتمع الريفي العراقي "، مجلة التراث الشعبي، العدد(٨)، ١٩٧٠، ص ١٢٤.؛ مقابلة شخصية للباحثة مع السيد م،خ،ع، اجريت بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٥.

٦٧- المقابلة نفسها.

٦٨- عروبة جميل محمود عثمان، الحياة الاجتماعية في الموصل ١٨٤٣- ١٩١٨ أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، (جامعة الموصل،٢٠٠٦)، ص١٨٨-١٨٩؛ أنور قاسم يحيى، "المعتقدات الخرافية لدى طلبة الجامعة"، مجلة آداب الرافدين، العدد(٥٤)،٢٠٠٩،ص ٤٥٩ .

٦٩- اللامي،، المصدر السابق ص ٢٥٨.

٧٠-عثمان المصدر السابق، ص ١٨٩؛ عيسكو، المصدر السابق، ص ٩٢.

٧١- القصاب، المصدر السابق، العدد٤،السنة ٢٠١٠،٤١، ص ١١٩.

٧٢- اللامي، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

٧٣- المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

٧٤- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ/١٤٨٤م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،تحقيق.د.عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر، دار خضر، الطبعة الثانية،(بيروت،١٤١٤)،ص١١٠. وللمزيد من التفاصيل ينظر :

من كتب الموقع الرسمي http://www.shamela.ws .

٧٥- فخري حميد القصاب، "أيام الأسبوع في التقاليد والعادات الشعبية"(٢)، العدد٤، ٢٠١١،ص ٦٧ ؛رضا محسن القريشي،،"الأساطير والملا عبود الكرخي،مجلة التراث الشعبي .، العدد٤، السنة ١٩٧٥،٦، ص٦١-٦٢.

٧٦- اسحق عيسكو، "الخرافات الشائعة في الموصل"، ص٩٤

٧٧-فنشنسو ماريا دي سانتادي سنا، رحلة فنشنسوالى العراق في القرن السابع عشر، مجلة المورد، المجلد (٥)، العدد(٣)،(بغداد:١٩٧٦)، ص ٧١.

٧٨- سجى قحطان محمد علي قبع،الموصل في كتابات الرحالة في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الموصل ٢٠١٠،ص ٢٧٥.

٧٩- دومينيكو لانزا، الموصل في القرن الثامن عشرحسب مذكرات دومينيكولانزا ، ترجمة القس روفائيل بيداويد، ط٢،(الموصل، ١٩٥٣)، ص ٦٩.

٨٠- رحلة أبي طالب خان الى العراق وأوربا، ترجمة مصطفى جواد،(بغداد،٢٠٠٧)، ص ٢٥٢.

٨١- المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

٨٢-لانزا، المصدر السابق،ص ٦٩.

٨٣- اسحق عيسكو، المصدر السابق (٢)، ص ٩٤،رضا محسن القريشي،"الأساطير والملا عبود الكرخي،مجلة التراث الشعبي . العدد٤، السنة،١٩٧٥، ص٦٠.

حركة الاسعار في الموصل
خلال العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨

أ.م.د. غسان وليد الجوادي*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٥/٢٢
تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث:

تناول العديد من المؤرخين موضوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة الموصل في العهد العثماني١٥١٦- ١٩١٨ ويأتي هذا البحث من ضمن هذين الجانبين، ولاسيما أن المدينة كانت تشهد بين الحين والآخر عدم الاستقرار في الاسعار، صعوداً وهبوطاً ولأسباب مختلفة، وتأثير ذلك على حياة السكان الاقتصادية والاجتماعية، ومحاولات الحكومة والسكان للتغلب على هذه المشكلة بإيجاد الحلول المناسبة لها، سواء عن طريق المراقبة من قبل موظف مختص أو محاولة توفير المواد الضرورية في مختلف الظروف.

Movement of the prices in Mosul in the Ottoman era

1516– 1918

lC.Dr, Ghassan walid aljawadi

Zakhounivirsty/Art of school / history department

Abstract

A number of historians dealt with the economical and social of Mosul city in the ottoman era 1516-1918 . this research is focused on both these aspects particularly the city witnessed instability in the prices up and down sometime for many reasons and its effect on life of people at the economical and social levels in addition to the attempts of the government and people to surmount this problem by finding the right solutions either via the competent functionary monitoring or an attempt of procurement of the raw materials under different circumstances.

* استاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة زاخو.

المقدمة

تعد حركة الاسعار صعوداً وهبوطاً ولأسباب مختلفة من الجوانب المهمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة الموصل في العهد العثماني (١٥١٦ – ١٩١٨) ومن خلالها يمكن التعرف على بعض الجوانب ذات الأهمية لهذه المدينة على الرغم من قلة المعلومات والأرقام عن هذا الموضوع، وكما يذكر شارل عيساوي: "أنها تتصف بالندرة"[١]، إذ لا تتوفر إحصاءات رسمية عن مستوى الأسعار في هذا العهد، لا قبل الإصلاح النقدي في الدولة العثمانية الذي صدر عام ١٨٤٠م، ولا بعده، ولكن الكوارث و الأزمات كسقوط الثلج وانقطاع المطر، والغلاء وانقطاع الطرق ومهاجمة القوافل التجارية وانعدام الأمن والنزاعات الداخلية بين العشائر والسلطات المحلية في الولايات، وغيرها من الأحداث التي مرت بالعراق بشكل عام والموصل بشكل خاص، تعطينا فكرة عن حركة الأسعار وبالتالي عن المستوى المعيشي للسكان[٢].

وقد وصلتنا بعضاً من المعلومات حول الأسعار من خلال مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين مروا بالموصل وسجلوا ملاحظاتهم عن المدينة أما المصادر الأخرى فيمكن الإشارة إلى سجلات المحكمة الشرعية بالموصل إذ لم أتمكن من الاستفادة منها بشكل مباشر، وهي ذات أهمية في معرفة حركة الأسعار ولاسيما في القرن التاسع عشر، ولذلك اعتمدت على بعض البحوث والتي تمكن أصحابها الاستفادة من هذه المصادر.

وكذلك كان لمؤرخ الموصل ياسين بن خير الله العمري[٣]، اهتمام وتتبع في الإشارة إلى أسعار عدد من السلع وفي ظروف مختلفة، وفي بعض الأحيان يشير إلى سبب ارتفاعها أو هبوطها .وقد حاول البحث الاجابة على بعض التساؤلات منها ماهي الأسباب الرئيسية حول تذبذب الاسعار، و ما هو دور الدولة في معالجة بعض القضايا كالاحتكار والحد من ارتفاع الاسعار وجلب المواد الضرورية وتسعير بعض المواد ودور الوالي والمحتسب في هذه المسألة.

أولاً : ظاهرة رخص الاسعار في الموصل

تعد الموصل من المراكز التجارية الرئيسة في العراق فضلاً عن بغداد والبصرة في العهد العثماني ولها علاقات تجارية محلية وإقليمية واسعة[٤]. وكانت أسواقها المركز الرئيسي الذي يستقطب تجارة مختلف المحاصيل التي تنتج في أطرافها[٥]، ومن الصعوبة اجراء مقارنة لأسعار لمختلف المواد بين الموصل والمدن الاخرى لعدم توفر البيانات والاحصاءات ولذلك فإننا نعتمد في ذلك على أقوال الرحالة الغربيين لأنهم كانوا يقارنون الاسعار بين الموصل والمدن التي

مروا منها، ربما في فترات زمنية متقاربة ومن خلالهم تبدو لنا الصورة أوضح حول رخص الاسعار أو ارتفاعها.

ويتفق معظم الرحالة على أن أسعار معظم المواد الغذائية الضرورية معتدلة كانت ورخيصة ولاسيما الخبز والفواكه[٦]. ولذلك فالرحالة الإيطالي فنشنسوvincenzoالذي زارها سنة ١٦٥٦م عبر عن اندهاشه بقوله: "فأخذني العجب من الأسعار البخسة التي تطلب لمختلف البضائع وقد اشتريت حاجيات كثيرة"[٧]، دلالة على أنه شاهد أسعار مرتفعة في المدن التي مر فيها لنفس الحاجيات التي اشتراها من الموصل.

وهكذا بالنسبة لأسعار الحيوانات الحية إذ يذكر: أن سعر الشاة الواحدة هي أربع شاهيات[٨]، وسعر البقرة قطعتين أبو شلبي[٩]، والخيول العربية الأصيلة تباع بأربعة قروش[١٠] أو خمسة والحصان الذي يبلغ قيمته اثنا عشر قرشاً أو خمسة عشر قرشاً، يباع في أوروبا بـــ خمسين ديناراً أو ستين على أقل تقدير[١١]. وقد ظلت أسعار الخيل واطئة حتى أواخر القرن التاسع عشر وارتفعت نسبياً في بداية القرن العشرين ولكنها مع ذلك كانت رخيصة قياساً إلى أسعارها في أسواق بومباي في الهند[١٢].

تعددت الآراء حول ظاهرة رخص الأسعار في الموصل في الأحوال الاعتيادية ويمكن الإشارة إلى بعضها، منها أنه لم يكن هناك تغييراً كبيراً في أسعار المواد الغذائية في الدولة العثمانية ولاسيما الخبز واللحوم والخضر والفواكه؛ لأن الدولة كانت تقوم بضبط سعر الخبز مثلاً في أعقاب الحصاد ويجري التغيير كلما كانت هناك حاجة لذلك[١٣].

بينما يرى الدكتور علي شاكر علي، أن رخص الأسعار لا يرجع إلى قوة العملة كما يفهم بل إلى ندرة العملة ولذلك كانت قوتها الشرائية عظيمة[١٤]. وهذا ما جعل مستوى المعيشة في العراق لا يرتفع إلا إلى القروش وأجزائها الصغيرة، بل ان الأجزاء الصغيرة للقروش المتداولة في العراق في العهد العثماني لتدل بما كانت تستطيع شراءه على قلة النقد وانحطاط مستوى المعيشة[١٥].

ويبدو أن وقوع الموصل على شبكة طرق تجارية مكنتها من الاستفادة من هذه الطرق، وبوصفها حلقة وصل بين عدة أقاليم جعلتها لا تتأثر إلى حد كبير بغلق أي طريق[١٦]، وهذا يعني سهولة وصول مختلف البضائع وتنوعها، فضلاً عن تعدد مصادرها وهذا كان سبباً في أن

تحتفظ الأسعار باستقرارها في الظروف الاعتيادية. و ربما كان لسياسة بعض الولاة ونجاحهم الاداري دور في استقرار الاسعار كحالة الوالي محمد باشا الجليلي (١٧٨٩ -١٨٠٦) فقد أجرى تعديلات على رسوم دخول المواد الغذائية الى المدينة وعدم زيادتها وتسهيل معاملات التجار من قبل موظفي الكمرك وحالة الأمن التي عاشتها المدينة، ما شجع التجار على العمل والاستقرار فيها وبالتالي أصبحت مستودعاً ضخماً للمواد الغذائية[١٧] ويبدو أن استقرار الاسعار يعني الاستقرار في المجال السياسي وازدهاراً اقتصادياً.

ثانياً : اسباب ارتفاع الاسعار

بداية لابد من التأكيد على أنه لا يمكن فصل دراسة حركة الاسعار في الموصل عن سياسة الدولة العثمانية في الجانب المالي، إذ أن سياسة الدولة وعلى المدى الطويل كانت تقوم على تخفيض وزن العملة من خلال انقاص وزن المعدن الثمين فيه وهذا كان يشكل أكثر الاسباب أهمية في ارتفاع الاسعار في الدولة العثمانية[١٨]. ولكن وحسب المصادر المتوفرة عن حركة الاسعار في الموصل تحديداً والتي تشير الى تعدد الأسباب التي كانت وراء ارتفاع اسعار المواد سواء المنتجة محلياً أو المستوردة، وقد كان ارتفاع أسعار المواد الغذائية أكثر تأثيراً في حياة الفرد وذو تأثير سلبي في الحياة العامة. ويمكن الإشارة إلى بعض الأحداث منها أن التجار الموصليون تمكنوا من ربط أنفسهم بالجيش العثماني وتزويده بالمؤن مثلما حدث مثلاً في سنة ١٦٣٠ أثناء حملة الجيش العثماني على همدان فقد جَنَت الجماعات القبلية المال من عمليات نقل المؤن الى الجيوش المحاربة وهذا الأمر كان يخلق أزمات في مدن العراق، كما أن التجار وجدوا في بيع حبوبهم وبضائعهم الى الجيوش العثمانية أكثر ربحاً، واستفاد الحرفيون في الموصل أيضاً من زيادة الطلب على هذه البضائع وتمكنوا من تجاوز حدود الرقابة التي فرضتها الدولة على الاسعار[١٩]. وهذا ما تكرر في السنوات ١٦٧٦ ، ١٧٠٩ ، أثناء المواجهات التي حصلت بين الفرس والعثمانيين والحصار الذي فرضه نادر شاه على الموصل سنة ١٧٤٣ ما أدى الى زيادة الطلب على السلع الزراعية وبالتالي ارتفاع اسعارها ما أثر سلباً بشكل عام على سكانها لأنهم أصبحوا غير قادرين على شراء سلعهم الاساسية والحفاظ على مستوى معيشتهم[٢٠] وما حدث سنة ١٧٥٧، حيث القحط وظهور موجات الجراد النجدي وأكله للزرع فكان أن ارتفعت الأسعار وحدث الغلاء، ولقلة المؤن مات من الجوع الكثير من الناس وهاجرت العديد من العوائل إلى مناطق أخرى، ويذكر العمري عندما اشتد الغلاء في الموصل سنة ١٧٥٧ "أتى

الجراد وأكل الزرع حتى بيعت الغلة خمسة أرطال[٢١] بثمانية دراهم[٢٢] والشعير رطل بدرهم، ومات من الجوع خلق كثير حتى أكلوا لحوم الدواب"[٢٣].

ومن المواد المستوردة التي كانت تطرأ عليها تغييرات في السعر باستمرار، القهوة في سنوات عديدة، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ ، ١٨١٠، ١٨١١، ويعزى العمري مثلاً ارتفاع السعر سنة ١٧٨٠ إلى انعدام الأمن على طريق البصرة بسبب الاضطرابات العشائرية حتى أن سعرها وصل بين ٥٠ – ٦٠ درهماً للرطل الواحد، وعلى أثرها أقفلت بعض "القهوة خان" مدة من الزمن إلى أن رجعت أسعارها إلى ٣٦ درهماً للرطل الواحد[٢٤].

وقد أدى انقطاع الطرق المؤدية إلى المدن الكردية وسقوط الثلج، أو ظهور الطاعون، أو الفتن بين الأمراء الاكرادٍ، عدم مجيء القوافل إلى الموصل وبذلك تعطلت مصالح الناس ولاسيما الحرفيين وبالتالي كان ارتفاع الأسعار، وفي حوادث سنة ١٧٩٨ يذكر العمري "وفيها من الفتن الواقعة في الأكراد غلا في الموصل الخشب والفحم حتى بيع مائة من الخشب بثلاثين درهماً وأكثر والفحم رطل بدرهمين وأكثر وتعطلت حرفة الحدادين والصياغ" [٢٥].

وكانت أسواق الموصل تتأثر بما يحدث خارج الدولة العثمانية فبنشوب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ انقطع الاستيراد من فرنسا وبالتالي ارتفعت أسعار أقمشة الجوخ الفرنسي حتى وصل سعر الذراع الفرنسي في الموصل إلى ستين درهماً[٢٦]، بمعنى أن سعره ارتفع دون أن يذكر السعر الذي كان يباع به سابقاً. وقد كان لسوء تقدير بعض المضاربين في الأسواق المحلية الذين كانوا يضخمون درجة اعتماد الأسواق الأوروبية على البضائع العراقية ومنها محصول العفص[٢٧]. إذ أن قلة موسمه في عام معين يعني ارتفاع أسعاره في أوروبا ومن هذا الاعتقاد كانوا يزيدون أسعاره ما يؤدي إلى تراكمه في المخازن دون أن يجد من يشتريه وهذا التصرف كان يؤدي إلى وقف عمليات البيع والشراء ، وبذلك يتضرر التاجر، ففي سنة ١٩٠٣ كان سعر القنطار[٢٨]، الواحد في الأسواق العراقية يقدر بـــ ١٤٠٠ قرش ولاعتقاد التجار أن كميات هذا المحصول قليلة في أوروبا وهذا يعني أن الطلب سيزيد عليه في السوق المحلية لغرض تصديره إلى أوروبا فوصل سعره في السوق المحلية إلى ١٩٠٠ قرش للقنطار الواحد ولذلك لم يتقدم أحد من التجار الأجانب على شرائه مما أدى إلى تراكمه في السوق المحلية ما

أضطر التجار إلى بيعه بأسعار بخسة وبالتالي خسارة العديد من التجار[٢٩]. وهكذا بالنسبة لتجارة الصوف ونظراً للإقبال الشديد عليه فقد كان التجار المحليون ووكلاء القنصلية الفرنسية والبريطانية ومنذ ستينيات القرن التاسع عشر ونتيجة للمضاربة بينهم للحصول عليه فقد بدؤا يقدمون المال إلى العشائر قبل بضع شهور من موسم الجز، وبدورهم فإن مربي الأغنام كانوا يبيعون لمن يدفع لهم أسعاراً أعلى من غيرهم، وهذا أدى إلى ارتفاع أسعاره فقد أرتفع سعر الجزة الواحدة من (٢ – ٥) قرش في بداية القرن التاسع عشر إلى (٥ – ٦) قرش سنة ١٨٦٠ وما بعده[٣٠]. وكان هذا دافعاً إلى زيادة كميات الإنتاج من خلال زيادة تربية الأغنام.

ويمكن أن نشير بشكل أوسع إلى حركة الأسعار من خلال التطرق إلى الغذاء الرئيسي لسكان الموصل وهي الحنطة، إذ أن العوامل الطبيعية لم تكن السبب الوحيد لصعود أسعاره، وإنما كان لطبيعة الحياة الاجتماعية دور في ذلك إذ أن التغير في الأسعار يعتمد على الموسم لأن شعور الناس بقلة المؤن في أشهر الشتاء كان يرفع أسعاره، ولكن الدولة غالباً ما كانت تعمل على الحفاظ على أن يبقى السعر ثابتاً[٣١]. هذا مع وجود أسباب أخرى.

ومن خلال متابعة أسعاره في سنوات متباعدة تبين مدى الارتفاع ولاسيما أثناء الكوارث والأزمات. ففي سنة ١٥٩١ بيع رطل الخبز بدرهمين بسبب الغلاء[٣٢]، وفي سنة ١٦٧٢ ولنفس السبب بيع رطل الخبر بثلاثة دراهم ونصف[٣٣]، وفي الغلاء الكبير الذي حدث سنة ١٦٨٨ بيع رطل الحنطة بدرهم[٣٤] وفي غلاء سنة ١٧٥٦ بيع الرطل من الحنطة بدرهم ونصف واستمر الغلاء ثلاث سنوات، ومات من الجوع عدد كبير من الناس حتى أن بعضهم اضطر الى أكل لحوم الدواب[٣٥]، وفي سنة ١٧٧٧ بيعت الحنطة وزنة[٣٦] ونصف بثمانية دراهم[٣٧].

وعلى الرغم من أن الانتاج الرئيس فيها كان الحنطة والشعير حتى أن الرحالة البريطاني بادجرBadger الذي زارها سنة ١٨٥٠ يشير الا أنهما "لا يكادان يفيان نفقة حراثتهما فكل ١٠٠ مثقال حنطة يباع ب ٨ فلوس والشعير ب٥ فلوس"[٣٨]، وفي غلاء سنة ١٨٨٠ بلغ سعر وزنة الحنطة ليرة ذهبية[٣٩] نتيجة هبوب رياح السموم في تلك السنة[٤٠] وهذا يعني أن سعره ارتفع إلى ١٦ ضعفاً عن معدل سعره العادي[٤١]. وأثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) بلغ سعر الطن الواحد من الحنطة في الموصل حوالي ٤٠٠ ليرة ذهبية، وكان يباع سراً ولم يكن الجميع يملكون النقود الذهبية، واقتصر الشراء على الأغنياء[٤٢].

ولكن معظم المؤرخين لم يسجلوا لنا أسعار المواد التي كانت تباع في أسواق الموصل في السنوات العادية والتي يمكن التعرف من خلالها على الفروقات الحاصلة بين الاسعار في سنوات استقرار الاسعار وفي سنوات الغلاء وكذلك فان بعض المؤرخين ذكروا أنواعاً مختلفة من العملات، وهذا ما يزيد من صعوبة تحليل هذه الناحية[٤٣]. وقد عثر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف على رسالة تعود لسنة ١٨٧٨ و كاتبها رجل يدعى محيي الدين وهو موصلي، وتعود أهمية الرسالة الى ذكره لحوالي ٧٧ مادة غذائية تتوزع بمواد الغلال والبقالية والخضراوات واللحوم، وقد أشار الى أسعارها في حالتي الرخص والغلاء ويمكن الاشارة الى بعضها ولا سيما المواد الغذائية ومن خلالها يمكن اجراء المقارنة بين الاسعار في الحالتين.

المادة	الوزن	اسعار الرخص بالقرش	اسعار الغلاء بالقرش
حنطة	الوزنة	٤	١٢٠
شعير	الوزنة	١	٩٩
ذرة	الوزنة	١	٩٩
عدس	الوزنة	٢	١٠٤
حمص	الوزنة	٣	٧٠
باقلاء	الوزنة	٤	٦٥
ارز	المن	٧	١٤٠
سمسم	المن	١٠	٦٠
شلب	المن	٤	٩٠
زبيب أحمر	المن	٥	٤٠
تمر	المن	٥	١٠٠
بصل	الوزنة	٢١	٢٥
لحم غنم	اوقية	–	١٢
لحم بقر	اوقية	–	٨
لبن	المن	١	٤

وتظهر الارقام أن ارتفاع الاسعار كان يشمل جميع المواد الزراعية والحيوانية بلا استثناء وتصل احياناً الى ٩٩ ضعفاً في بعض المواد وتقل نسبياً في سلع اخرى.(٤٤)

وفي معظم هذه الغلاءات كان المحتكرون من التجار والأغنياء وأصحاب النفوذ من السياسيين يستغلون هذه الفرص للإثراء على حساب الفقراء بخزنهم للحبوب وبيعها بأسعار مرتفعة، وقد ألحقت عملية الاحتكار ضرراً بمصالح الحكومة والطبقة الفقيرة معاً، لأن فئة المحتكرين كانت تسيطر على معظم موارد الولاية خلال سنوات الأزمات والحروب وحركات العصيان(٤٥).

وكان تأثير المحتكرين يظهر بوضوح بتلاعبهم بالأسعار، عندما كانت السلطات المحلية ضعيفة، حيث يرفضون البيع ويخزنون الحنطة إما في مخازنهم الخاصة أو في القرى(٤٦). ولم تقتصر عملية الاحتكار على الحنطة وحدها وإنما شملت مواد أخرى ومنها أن المحتكر كان يشتري أقة الملح بـــ ٥٠ بارة (٤٧). ويبيعها بالتجزئة بسعر يتراوح من ٢٠ – ٣٠ باره ، أي أن الكلفة تزيد بنسبة ٤٠٠ – ٦٠٠%(٤٨).

وشكلت كلف النقل المرتفعة عائقاً لتصدير الكثير من المحاصيل ومنها العفص والنتيجة هي تراكمه في الأسواق(٤٩). إذ أن أسعار النقل عبر الصحراء بين الموصل وحلب سنة ١٨٣٨ والمسافة بينهما حوالي ٧٠٠ كم، ونقل القنطار الواحد يكلف (٢٢٠ – ٣٠٠) قرش وفي أحيان أخرى يكلف (٤٠٠ – ٥٠٠) قرش للقنطار، وبعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ شهدت أسعار النقل انخفاضاً كبيراً بسبب تحول التجار إلى هذا الطريق(٥٠)، بينما أسعار النقل النهري بين الموصل وبغداد وعن طريق الاكلاك(٥١) والتي تستغرق (٣ – ١٢) يوماً تكلف حوالي ٠,١٦ – ١,٣ جنيهاً(٥٢).

وفي كثير من الحالات كانت البضائع الأوروبية التي تباع في أسواق الموصل تتميز بارتفاع أسعارها، ويعود السبب في ذلك لمرورها بأيدي عدد كبير من الوسطاء(٥٣). ولذلك فقد اقترح جسنيChesny(٥٤) انشاء مؤسسات مالية بريطانية في الموصل لأنها تمتلك قدرة كبيرة على استهلاك البضائع البريطانية ودعا إلى العمل على أن تكون التجارة مباشرة معها من دون أن يكون هناك وسطاء عديدون يؤثرون في رفع أسعار البضاعة البريطانية لأن التجارة المباشرة تقلل من سعر البضاعة ثم الإقبال المتزايد عليها(٥٥).

وفي موضوع الأجور كان الفلاح نموذجاً لمستويات الأجور التي يتقاضاها الفرد فقد كان يقوم بكافة الأعمال التي تقتضيها الزراعة من حراثة وبذار وسقاية وحصاد ووقاية ومراقبة إلى

غير ذلك طوال الموسم، و كانت هذه الأعمال تنهك قواه، وبالتالي فإن ما يناله في نهاية الموسم قلما يكفي لسد حاجته الأسرية[٥٦]. ويحدثنا الآثاري البريطاني اوستن هنري لايارد Austen Henry Layard اثناء تواجده في الموصل سنة ١٨٤٧ بأن اختلاف اجور العمال مقترن باختلاف مهماتهم وكذلك بحسب الوقت من السنة، فالحفارون الذين كانوا يعملون عملاً شاقاً يتقاضون من (٢,٥ – ٣) قروش في اليوم ،والذين يملؤون السلال يتقاضون من ٢ – ٢,٥ قرش ،أما العمال العاديون فمن ١,٥ – ٢ قرشين، وأما ركام التراب الذي تخلف عن الحفر فيغربله الصبية ويتقاضون عن ذلك قرشاً واحداً في اليوم، وهنا يؤكد لايارد بأن الاجور رغم ضآلتها نوعاً ما لكنها تكفي لإعالة عائلة في المدينة ويقارن هذه الاجور بأسعار بعض المواد الغذائية ويقول أنها بخسة منها أن حمولة جمل من الشعير تباع ب ١٠ – ١٢ قرش وسعر العجل الصغير ب ٤٠ – ٥٠ قرشاً والخروف السمين ب ٤ شلنات والحمل ب ٢ شلن وثمن الحصان العادي ٣ – ٥ باونات وهو سعر الجمل ايضاً[٥٧] ولذلك عندما تولى مدحت باشا ولاية بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) منح صلاحيات واسعة في البصرة والموصل، و اجتهد في دفع الرواتب في أوقاتها ولتفهمه لما كان يتقاضاه الفرد من أجور متدنية لقاء عمله فقد قال: "سوف يأتي زمن يتيسر للدولة فيه أن تعادل بين العمل والأجرة، أما الآن والإجحاف ظاهر فكأننا نحن أنفسنا نأذن بالرشوة لذوي الرواتب الزهيدة بل نأمرهم بذلك أمراً"[٥٨]. وبالمقارنة بين أجرة العامل في العراق مع بقية أنحاء الدولة العثمانية التي وصفت بأنها منخفضة حيث كان الأجر اليومي للدباغ الواحد في تركيا ٣,٦ قرشاً، بينما بلغ في العراق ١,٥ قرشاً بينما الأجور بشكل عام تتراوح بين قرشين إلى خمسة قروش[٥٩].

وقد أجرى شارل عيساوي مقارنة للأجور بين سنة ١٨٩٤ التي كانت أفضل وأعلى من سنة ١٨٤٥، حيث ذكر أن السبب يعود إلى استهلاك السكان للحم والسكر بشكل متواصل يعني ارتفاع مستوى المعيشة[٦٠].

أما بالنسبة إلى الأراضي في العهد العثماني فلم يكن مفهوم الملكية الفردية للأرض وارداً لدى العشائر وإنما كانت ملكاً مشتركاً لجميع أفراد العشيرة أي أن الأرض كانت مشاعة بينهم[٦١]، ولكن أسعار الأراضي ارتفعت بشكل كبير ولاسيما بعد فترة من افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ وتحولت طرق التجارة بشكل تدريجي إلى القناة وزاد الطلب الأجنبي على المنتجات

الزراعية العراقية وكان هذا أيضاً عاملاً في قيام رؤساء العشائر ومساعديهم بمصادرة الأراضي لأنفسهم(٦٢).

وقد حاول مدحت باشا معالجة المشاكل العشائرية بتشجيعهم على الاستقرار ومزاولة الزراعة فأقدم على بيع حقوق التصرف بالأراضي الأميرية أي المملوكة للدولة وكان السعر الرسمي قد حدد بحوالي ١٣٣ فلساً للدونم الواحد(٦٣).

وقد وردت بعض الارقام في سجلات المحكمة الشرعية بالموصل تشير الى حركة الاسعار منها إيجارات الغرف في الخان ومنها إن سعر المبيت في خان الحجيات كان ١٥٠ قرشاً للعام الواحد وذلك في سنة ١٨٧٧، أما خان الشط فقد استأجر شخص عشر غرف فيه استخدم تسعاً منها لخزن الصوف والعاشرة للسكن وكان إيجار كل غرفة قرشاً واحداً يومياً(٦٤). وهناك إشارات في سجلات المحكمة الشرعية حول حركة الاسعار من خلال التطرق لدعاوي النفقة الزوجية أو نفقة الاولاد ففي سنة ١٨٩١ قررت هذه المحكمة نفقة مقدارها ١٥ قرشاً شهرياً ومن ثم تقرر زيادة هذه النفقة بعد سنة واحدة الى ٢٠ قرشاً فقط بسبب غلاء الاسعار أو كان يحصل العكس بسبب رخص الاسعار(٦٥)، وقد ورد فيها اشارات أيضاً حول ارتفاع سعر الذهب في القرن التاسع عشر مقارنةً مع القرن الثامن عشر، وحسب دعوى مؤرخة في سنة ١٨٨٤ احتسب مثقال الذهب بحوالي ٨٠،٢٥ قرشاً في حين احتسب سعر المثقال في دعوى مؤرخة في سنة ١٨٨٨بحوالي ٨٣،٣٠ قرشاً(٦٦)، ربما يعود سبب ارتفاع قيمة الذهب الى تحول معظم الدول الاوربية الى قاعدة الذهب في التعاملات التجارية، ومن ثم تحولت الدولة العثمانية من نظام الثنائية المعدنية سنة ١٨٨١ الى نظام قاعدة الذهب وبذلك أصبح الذهب في الصدارة ولاسيما في العلاقات مع الاقتصاد العالمي(٦٧).

ثالثاً : دور الدولة والسكان في معالجة مشكلة صعود وهبوط الاسعار

كانت الموصل كغيرها من مدن الدولة العثمانية تتصدى للأزمات وتحاول إيجاد الحلول لمسالة ارتفاع الأسعار أو هبوطها وبعضاً من هذه الحلول تدخل ضمن مهام وإجراءات الولاية أو تأتي من الجهات العليا في العاصمة استانبول .وأحياناً من سكان المدينة بالاستفادة من التجارب السابقة التي مرت عليهم، أما دور السلطات المحلية فيأتي الوالي على رأس الجهاز الإداري في الولاية ومن أولى واجباته استمرار الولاء للدولة العثمانية والإشراف على سير الأمور في ولايته، ويرتبط بالوالي عدد من الموظفين(٦٨). ومن ضمن الواجبات في الولاية

حماية المؤن الغذائية والموارد الزراعية التي تدخل في الصناعة ومن ضمن اهتماماتها ضمان الأوزان وضبط المقاييس والأسعار المعتدلة والبضائع الجيدة[٦٩]. وكان لبعض ولاة الموصل دور في مواجهة أزمات ارتفاع الأسعار ومعالجتها ففي المجاعة التي حصلت في الموصل سنة ١٧٥٧م وارتفاع الأسعار واحتكار التجار للحبوب، قام الوالي مصطفى باشا أمين عظم (١٧٥٦ – ١٧٥٧) بإلقاء القبض على اثنين من أولئك التجار وصلبهم لتلاعبهم بقوت الناس وأمر بتعليق الموازين[٧٠]. وهكذا بالنسبة للوالي محمد باشا الجليلي (١٧٨٩ – ١٨٠٦) في معالجته لغلاء سنة ١٧٨٥م حيث أصدر أمراً بالبيع وعدم الاحتكار لكل من يمتلك حبوباً للتخفيف على سكان المدينة وتمكن من توفير الخبز للسكان بسعر معتدل، حيث أمر بعمل ١٥ فرناً للخبز حتى بيعت القرصة من الخبز بمصرية[٧١]، في محاولة للسيطرة على هذه الأزمة. وكانت السلطات المحلية تقوم بتحقيقات معمقة في حال استمرار عدم هطول الأمطار أو ظهور الآفات الزراعية التي تؤدي إلى قلة الحاصل، وارتفاع الأسعار ولاسيما الحبوب وتقوم بتحديد مدى حاجة الأهالي للمواد الغذائية الأساسية، وبالتالي مناشدة السلطات العليا، لأجراء اللازم وتسهيل الاتصال مع الولايات الأخرى للمساعدة في هذا المجال[٧٢]، ولم تكن إجراءات الولاة في معالجة هذه الاوضاع الا اصلاحات مؤقتة، ولم تتمكن من إيجاد الحلول لمواجهة هذه الأزمات[٧٣]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن أوضاع الدولة العثمانية والحروب المتكررة كانت تدفع بها إلى مراقبة الأسعار ومنع ارتفاعها ففي الحرب العثمانية الروسية سنة ١٧٨٧م ولمواجهة نقص المواد الغذائية حاولت الحكومة فرض نظام التسعير لمعظم السلع في العاصمة ومعظم المدن العثمانية وشمل ذلك أيضاً أسعار صرف كل من النقود الذهبية والفضية[٧٤]. وكذلك أصدر السلطان سليم الثالث (١٧٨٩–١٨٠٧) أمراً الى الامراء بعدم انفاق الذهب في الحالات غير الضرورية منها مثلاً تزيين الخيول بالذهب والفضة وذلك لقلة هذين المعدنين في الدولة ونتيجة لذلك بيع المثقال الواحد من الذهب في الموصل سنة ١٧٨٩ بأربعة قروش، بينما كان يباع المثقال الواحد سنة ١٧٧١ بحوالي ثلاثة عشر قرشاً ونصف[٧٥].

وفي حالات أخرى كان الوالي هو المتهم بخلق الأزمات، ففي ولاية يحيى باشا الجليلي (١٨٢٢ – ١٨٢٧) واجهت الموصل أزمة اقتصادية بسبب المجاعة سنة ١٨٢٥م وحاول الوالي

التخفيف من آثارها إلا أنه اتهم من قبل معارضيه بأنه من يقف وراء ارتفاع الأسعار، فكانت سبباً لاندلاع ثورة عليه(٧٦).

وكانت أسواق الموصل عرضة للتفتيش باستمرار من قبل موظف خاص هو (المحتسب) ومن مهامه الأساسية مراقبة الأسعار والأوزان والمكاييل والتأكد من التزام الباعة بها(٧٧)، كما كان المحتسب يطبق قائمة التسعيرة الخاصة بأسعار المحاصيل الزراعية والخضروات والفواكه وغيرها، وللقاضي دور في المدينة العثمانية من خلال مشاركته في وضع التسعيرة كل ثلاثة أشهر، بعد أن يعقد عدة اجتماعات مع أصحاب الحقول والبساتين وبحضور المحتسب(٧٨). واستمر المحتسب في القيام بهذا العمل حتى صدور قانون الجزاء الهمايوني سنة ١٨٥٨م، ومن ثم عهد بهذه المهام إلى مفتشي الضابطية (الشرطة)(٧٩) وكانت هناك أمور تفرض على المسؤولين أن يعيدوا النظر في الأسعار القائمة لاسيما في الأحوال غير العادية كالحروب والحصار والتعبئة وفي حالات الكوارث الطبيعية كالجفاف والسيول والبرد وغزو الجراد وغير ذلك(٨٠)، وكان على الإداريين في الولايات العثمانية مراعاة ناحيتين: حماية إمدادات الطعام في الولاية والإذعان لمطالب العاصمة، ولاسيما في حالة المواسم السيئة، أو الحملات العسكرية حيث كانت هناك زيادات في المطالب ولذلك كان المحتسب يحاول التخلص منها فلم تكن الغلال المطلوبة للإدارة في العاصمة تسلم كاملة على الدوام وهو دليل على المهارة لدى الموظفين العثمانيين في الولايات(٨١).

أما دور السكان فقد ظهر من خلال تكرار الأزمات في الموصل، وفي مجالات تتعلق بمستوى الأجور والأسعار، كمجال العمل الحرفي فقد كانت منفعة الأهالي ذات أهمية وتؤخذ في الاعتبار أثناء عملية التسعير وبالمقابل كانت الجهات المسؤولة تحاول أن تترك للحرفيين والتجار دائماً قدراً من الربح لجنس السلعة ونوع المنتج والمواد الخام المستخدمة ونوع الجهد ومقداره، ويتراوح بين ١٠ – ١٥% ويصل إلى ٢٠% في السلع التي تتطلب جهداً أكبر(٨٢). وكان ذلك يجري بالاتفاق مع الحكومة على وضع الأسعار ومستويات المهنة بوجه المعوقات(٨٣). ولأهمية أصحاب الحرف ونشاطهم المتزايد ودورهم كتنظيمات اقتصادية واجتماعية فإن أصحاب كل حرفة كانوا يقفون بوجه كل إجراء ضدهم، ففي سنة ١٧٢٠ أثارت الأرباح التي تجنبيها أصناف الحرفيين، اهتمام بعض أعيان المدينة، فاقترحوا فرض ضريبة سنوية على أصحاب البضائع والحرف الذين بلغ عددهم حوالي (٣٠٠٠) شخص ولكن الاقتراح

واجه معارضة ولم ينفذ[٨٤]، وفي بعض الأحيان كان لهذه الأصناف دور في حماية أعضاء الحرف من تدني أجورهم من خلال منعهم انضمام القادمين من الريف إلى هذه الأصناف وذلك للحفاظ على مستويات معيشتهم ومنع تدني الأسعار والأجور معاً[٨٥].

إن كثرة الأزمات أكسبت سكان الموصل خبرة في التحوط ومجابهة هذه الأزمات من خلال خزن كميات كبيرة من الحبوب والمنتجات الزراعية التي تتحمل الخزن بكميات تزيد عن حاجة الأسرة وهذا من شأنه التخفيف من حدة الأسعار التي يزداد الطلب عليها حال حدوث الأزمات[٨٦] وبالتأكيد من كان يقوم بعملية التخزين هم من الطبقة الغنية، إلا أنها لم تكن علاجاً لتلافي الآثار الناجمة من الأزمات ومنها ارتفاع الأسعار وما يرافقها من آثار اقتصادية واجتماعية على سكان المدينة[٨٧]. ومنها، أن أشتد الغلاء سنة ١٨٧٨ في الموصل؛ لقلة سقوط الأمطار وبالتالي قلة كمية محصولي الحنطة والشعير وارتفعت أسعارهما وأشتد ذلك على السكان، فاتجه تجار الموصل إلى ديار بكر وبغداد لشراء ما تحتاجه الموصل، فأمتنع واليا ديار بكر وبغداد عن البيع إلى المناطق الأخرى تحوطاً من أن يجتاح الغلاء ولايتيهما، وهنا ظهر دور سكان الموصل وأظهروا عدم الرضا واتصلوا بالعاصمة لمرتين وعلى أثر ذلك أمرت الدولة الولايتين بالسماح لتجار الموصل من شراء ما يحتاجون إليه من المواد[٨٨].

وفي حالة هبوط الأسعار وعندما يكون الموسم جيداً، يتم تصدير الحبوب إلى المناطق الأخرى، فكان دور السكان يظهر بالاحتجاج ضد هذه السياسة وتتم المطالبات بمنع التصدير وهذا ما حصل سنة ١٩٠٢ وبمشاركة الجنود من مهاجمة الأكلاك التي تنقل الحبوب إلى بغداد[٨٩].

الخاتمة

على الرغم من اهتمام الدولة بتوفير المواد الغذائية الرئيسية وفرض نظام التسعير إلا أنها لم تنجح في تطبيقه، وذلك لسيطرة المتنفذين والسياسيين على موارد المدينة وقيامهم بعملية الاحتكار للمواد الضرورية وقد ساعدهم على ذلك كثرة الازمات والكوارث التي تعرضت لها الموصل، وضعف الادارة في فترات طويلة وعدم الاهتمام ومتابعة حركة الاسعار، ولكن وبشكل عام فإن مقارنة الاسعار في الموصل بمدن اخرى في الدولة العثمانية يُظهر أنها كانت في الموصل تتمتع بالاستقرار في الظروف الاعتيادية.

الهوامش:

(١) شارل عيساوي،التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠- ١٩١٤، ترجمة، رؤوف عباس حامد، (بيروت : ١٩٩٠) ص٦٠٣

(٢) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، دنكور للطباعة والنشر، (دم١٣٥٥ه /١٩٣٦م)، ص٩٧٩

(٣) ولد في الموصل سنة ١٧٤٥ من اسرة علمية برز منها عدد من العلماء، وهو شاهد عيان، دقيق الملاحظة للأحداث التي جرت في الموصل وله العديد من المؤلفات في مجال التاريخ توفي سنة ١٨٢٠، للمزيد ينظر :عماد عبدالسلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، دار واسط، (بغداد :١٩٨٣) ص ص ١٤٨- ١٥٦

(٤) خليل علي مراد، "اقتصاديات الموصل في العصر العثماني من خلال كتابات مؤرخها ياسين بن خير الله العمري"، مجلة أوراق موصلية، العدد (١)، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ٥

(٥) جمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، ج١، مطبعة أسعد، (بغداد: ١٩٨٦)، ص ٦٦.

(٦) دومنيكو لانزا، الموصل في القرن الثامن عشر، عربها عن الإيطالية روفائيل بيداويد، ط٢، المطبعة الشرقية الحديثة (الموصل، ١٩٥٣)، ص ١٥؛ جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧، تعريب سليم طه التكريتي، مطبعة الأسواق التجارية، (بغداد: د ت)، ص ١٠٥.

(٧) رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر، ترجمها عن الإيطالية، بطرس حداد، مجلة المورد،العددان ٣ – ٤، بغداد : ١٩٧٦، ص ٧٣.

(٨) الشاهيات، وهو القرش المضروب في عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤ – ١٧٨٩) لم يكن سعره ثابتاً وإنما في تصاعد مستمر حتى وصل سعره إلى عشرة قروش صحيحة في أواخر القرن التاسع عشر، غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩ – ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة الموصل : ١٩٨٩)، ص ١٦٦.

(٩) أبو شلبي، ويعني تالير، عملة المانية الأصل من الفضة، وهي تساوي تالير واحد وكان في القديم يساوي ثلاثة ماركات، سركيس يعقوب، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار، القسم الثالث، (بغداد، ١٩٨١)، ص ٦٨ سهيل قاشا، الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، دار الوراق، (بيروت: ٢٠٠٩)، ص ٧١.

(١٠) القرش، عملة فضية بدأت الدولة العثمانية بسكه عام ١٦٨٨ وقد بطل التعامل به في الموصل عام ١٧٨٧م، خليل علي مراد، "النظام المالي" موسوعة الموصل الحضارية، مج٤، جامعة الموصل : ١٩٩٢، ص ٢٤٩.

(١١) فنشنسو، المصدر السابق، ص ص ٧٢ – ٧٣.

(١٢) حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ – ١٩١٤، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة مطبعة الإرشاد، (بغداد: ١٩٨٠)، ص ٣٨٨.

(١٣) أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية، ج٢، (استانبول: ١٩٩٩)، ص ٦٧٣.

(١٤) "علي شاكر علي، الموصل في كتابات الرحالة في القرنين السادس عشر والسابع عشر"، مجلة أوراق موصلية العدد (٢)، (جامعة الموصل: ٢٠٠٢)، ص ١٠.

(١٥) عبد الرحمن الجليلي، النظام النقدي في العراق، مطبعة نهضة مصر، (مصر: ١٩٤٦)، ص ٩٢.

(١٦) بيرسي كيمب، الموصل والمؤرخون الموصليون في العهد الجليلي ١٧٢٦ – ١٨٣٤م، ترجمة محب أحمد الجليلي وغانم العكيلي، مركز دراسات الموصل، (الموصل: ٢٠٠٧)، ص ٤٩.

(١٧) اوليفيه، رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤–١٧٩٦، ترجمة يوسف حبي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد:١٩٨٨) ص ٥١–٥٢

(١٨) شوكت باموك، التاريخ المالي للدولة العثمانية، ترجمة حارس عبداللطيف، دار المدار الاسلامي، (بيروت ٢٠٠٤) ص ٤٠٧

(١٩) ديناخوري، الدولة والمجتمع الإقليمي في الإمبراطورية العثمانية الموصل ١٥٤٠ – ١٨٣٤، ترجمة يحيى صديق يحيى، (الموصل، ٢٠١١).، ص ٥٢

(٢٠) المصدر نفسه، ص ص ٦٧ – ٦٨

(٢١) الرطل: وزن يساوي ١٢ أوقية، ١/ ١٠٠ من القنطار وأن الرطل يساوي نصف مَّن وهي القيمة الشرعية له، وكل رطل ١٢٠ درهماً، ياسين بن خير الله العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، مطبعة الآداب (النجف ١٩٧٤)، ص ٥٩.

(٢٢) درهم: وهو المعروف بـــ (آقجة) وكانت تعادل ١,١٥٤ غراماً، المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٢٣) ياسين بن خيرالله العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، ج٢، دار الاستنبولي (الموصل :دت) ص ٨٤٧ – ٨٧٥، زبدة الآثار ...، ص ص ١١٥ – ١١٦.

(٢٤) الدر المكنون ...، ج٢، ص ٩٤٥؛ غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (الموصل: ١٩٤٠)، ص ٤٨؛ مراد، اقتصاديات الموصل، ص ٧.

(٢٥) الدر المكنون ...، ج٢، ص ص ٩٧٤ – ٩٧٧؛ غرائب الأثر ...، ص ٤٨.

(٢٦) سيار كوكب علي الجميل، "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي (١٧٢٦ – ١٨٣٤"، بحث في الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، (زغوان: ١٩٨٨)، ص ٢٥٩.

(٢٧) العفص ويستخدم في دباغة الجلود ويستورد من كردستان حيث تنمو الأشجار بكثرة وبصورة طبيعية وترسل إلى الموصل والفائض من هذه المادة يصدر إلى أوروبا، سارة شيلدز، الموصل قبل الحكم الوطني في العراق، ترجمة باحثة الجومرد، (الموصل: ٢٠٠٨)، ص ٩٥.

(٢٨) القنطار ويعادل ٢٧٠ كلغم ويستخدم في الموصل للحديد والنحاس والنيلة والسكر والبقالة، عيساوي، المصدر السابق، ص ٦٨٩.

(٢٩) انستاس ماري الكرملي، "الزراعة والتجارة في العراق سنة ١٩٠٣"، مجلة غرفة تجارة بغداد، ع (١) ١٩٤١، ص ص ٦٥١ – ٦٥١؛ الكسندر آداموف، ولاية البصرة ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج٢، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ٢١٥.

(٣٠) شيلدز، المصدر السابق، ص ص ٢١٦ – ٢١٧.

(٣١) إحسان اوغلي، المصدر السابق، ج١، ص ٦٧٢.

(٣٢) العمري، زبدة الآثار ...، ص ٥٩.

(٣٣) العمري، غاية المرام ...، ص ٣١٩.

(٣٤) العمري، الدر المكنون، ... ج٢، ص ٨٦٥.

(٣٥) العمري، زبدة الآثار ...، ص ٧٤.

(٣٦) وزنة، كانت تساوي في الموصل ٢٦٠ كلغم وتستخدم للغلال والفواكه والخضر والصوف وغيرها، عيساوي، المصدر السابق، ص ٦٨٩.

(٣٧) العمري، زبدة الآثار...، ص ١١٥.

(٣٨) الموصل حسب رحلة بادجر، تعريب لويس ساكو، مجلة بين النهرين، السنة الثالثة، العددان ٩-١٠، (الموصل ١٩٧٥)، ص ٦٥

(٣٩) الليرة الذهبية، وهي العملة الأساسية في الدولة العثمانية، وأصبحت قيمتها مائة قرش صاغ بحسب إعلان الدولة عام ١٨٨١ وكانت قيمتها في ارتفاع مستمر، الجليلي، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٤٠) المطران يوسف بابانا، القوش عبر التاريخ، (بغداد : دت) ص ٨٠

(٤١) شيلدز، المصدر السابق، ص ١٩٤.

(٤٢) الجليلي، المصدر السابق، س ٩٣.

(٤٣) عماد عبدالسلام رؤوف، رسالة في غلاء الموصل ١٢٧٩هـ– ١٨٧٨م الموقع www.alukah.net/culture؛ وقد أشرت في المقدمة على اتفاق المؤرخين بندرة المعلومات

(٤٤) المصدر نفسه

(٤٥) بيردي فوصيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ – ١٩١٤، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ٨٣؛ أحمد الصوفي، المماليك في العراق صحائف خطيرة من تاريخ العراق القريب ١٧٤٩ – ١٨٣١م (الموصل: ١٩٥٢)، ص ١١٦؛ خوري، المصدر السابق، ص ٧١.

(٤٦) شيلدز، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٤٧) أقة وتعادل ٣,٢ كلغم وكانت تستخدم للمواد الغذائية كالخبز واللحم والفاكهة والخضر، والبارة وتعرف في الموصل باسم مصرية وكانت أصغر نقد عثماني وتساوي ٤٠/١ من البارة، عيساوي، المصدر السابق، ص ٦٨٨.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٦٥٩.

(49)Chesny, F. R, The Expedition for the survey of the Rivers Euphrates and Tigris, Vol 2, P 238.

(٥٠)عيساوي، المصدر السابق، ص ٣٣١.

(٥١) الكلك هو عبارة عن مجموعة من الاخشاب اليابسة تربط حزماً حزماً فوق قرب منفوخة بالهواء فتسند حزم الاخشاب كي لاتغطس من ثقل البضائع والكلك مربع الشكل لا دفة له بل يستعملون مجدافين ونظراً لبساطة تكوينه يمكن اعداد ثلاثة اكلاك او اربعة في مدة قصيرة . رحلة سبستياني الى العراق سنة ١٦٦٦، ترجمة بطرس حداد، (بيروت ٢٠٠٦) ص ٨٩

(٥٢) عيساوي، المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(53)Chesny, Op, Cit, P 703.

(٥٤) ترأس بعثتين إلى العراق في (١٨٣٠ – ١٨٣١) و (١٨٣٥ – ١٨٣٧) في عملية مسح لأنهار العراق وتقدير مدى صلاحية نهر الفرات لسير البواخر، ينظر محمد داخل كريم السعدي، المصالح الأجنبية في الموصل ١٨٣٤ – ١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٩، ص ١٢.

(٥٥) نقلاً عن إبراهيم خليل أحمد، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ – ١٩٢٢ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد :١٩٧٥)، ص ٢٣٨.

(٥٦) حسين محمد القهواتي، "الحياة الاقتصادية في القرن التاسع عشر حتى نهاية العصر العثماني"، ج١٠،في موسوعة حضارة العراق، (بغداد، ١٩٨٥)،، ص ص ٩٤ – ٩٦.

(٥٧) اوستن هنري لايارد،مكتشفات أطلال نينوى وبابل مع رحلات الى أرمينيا وكردستان والصحراء، ترجمة شيرين إيبش ،(أبو ظبي : ٢٠١٤) ص ١٤١

(٥٨) سليمان البستاني، عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، دار الطلبة للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٧٨)، ص ١٣١.

(٥٩) ل. ن كوتولوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبدالواحد أكرم، ط٣، (بغداد: ١٩٥٨)، ص ص ٨٧ – ٨٨.

(٦٠) التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب، ص ٨٧.

(٦١) خليل علي مراد، "حيازة الأرض الزراعية"، في موسوعة الموصل الحضارية، ج٥، (الموصل: ١٩٩٢)، ص ١٣٧.

(62) Charles Issawi, The Economic History of the Middle East 1880 – 1914, printed in the united states of America, 1975. P176

(٦٣) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ – ١٩٥٨، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ج١، (بيروت: ١٩٦٥)، ص ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٦٤) خليل علي مراد " سجلات المحكمة الشرعية بالموصل مصدراً لدراسة أسواقها في العهد العثماني " مجلة دراسات موصلية، العدد٢٠٠٥،١٠، ص ٦

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٧

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٧

(٦٧) باموك، المصدر السابق، ص ٣٩٠

(٦٨) علي شاكر علي، (التشكيلات الإدارية العثمانية ٩٢٢ – ١٣٣٦ه – ١٥١٦ – ١٩١٨م)، موسوعة الموصل الحضارية، ج٤، (جامعة الموصل :١٩٩٢)، ص ص ١٦٥ – ١٦٦.

(٦٩) شيلدز، المصدر السابق، س ٤٥.

(٧٠) الجميل، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٧١) العمري، غرائب الأثر ...، ص ١٥.

(٧٢)مختارات من كتاب الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية، ترجمة وتعليق، خليل علي مراد، (السليمانية: ٢٠٠٥)، ص ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٧٣) عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ١١٣٩ – ١٢٤٩ه – ١٧٢٦ – ١٨٣٤م، (النجف: ١٩٧٥)، ص٢٨

(٧٤) باموك، المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٧٥) العمري، غرائب الاثر ...، ص ٢

(٧٦) سيار كوكب الجميل، "الموصل خلال الحكم الجليلي ١١٣٩ – ١٢٤٩ه – ١٧٢٦ – ١٨٣٤"، موسوعة الموصل الحضارية، ج٤، (جامعة الموصل : ١٩٩٢)، ص ٤٧.

(٧٧) خليل علي مراد، "تجارة الموصل"، موسوعة الموصل الحضارية، ج٤، (جامعة الموصل: ١٩٩٢)، ص ٢٧٢.

(٧٨) علي شاكر علي، "مؤسسة الاحتساب في الدولة العثمانية وعلاقتها بالولايات العراقية" منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ج١، (زغوان: ١٩٩٧)، ص ص ٣٣١ – ٣٣٢.

(٧٩) مراد، تجارة الموصل...، مج٤، ص ٢٧٢.

(٨٠) إحسان أوغلي، المصدر السابق، ج١، ص ٦٧٣.

(٨١) ثريا فاروقي وآخرون، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ١٦٠٠ – ١٩١٤، ترجمة قاسم عبده، مج٢، المدار الإسلامي، (بيروت: ٢٠٠٧)، ص ٢٥٦.

(٨٢) إحسان أوغلي، المصدر السابق، ج١،ص ٦٧٢.

(٨٣) ز. ي. هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، ترجمة مصطفى الحسيني، (بيروت: ١٩٧٣)، ص ٣٢.

(٨٤) عماد عبد السلام رؤوف، "التنظيمات الاجتماعية" موسوعة الموصل الحضارية، مج٤، (جامعة الموصل: ١٩٩٢)، ص ٢٨٣.

(٨٥) رؤوف، الموصل في العهد العثماني ....:ص ٢٩٢.

(٨٦) رؤوف، رسالة في غلاء الموصل مقال متاح على الموقع /www.alukah.net/culturs.

(٨٧) ذنون الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل. في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، (الموصل ٢٠٠٩) ص٣٤

(٨٨) رؤوف، رسالة في غلاء الموصل، مقال متاح على الموقع /www.alukah.net/culturs.

(٨٩) شيلدز، المصدر السابق، س ١٩٧.

سردنة الواقعة التاريخية
قراءة في (رواية السيف والكلمة) لعماد الدين خليل

أ.م.د. علي أحمد محمد العبيدي*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٤/٥/١٨
تاريخ قبول النشر ٢٠١٧/١٢/١٨

ملخص البحث:

يحيل مصطلح السردنة الى إخضاع (الموضوع) الى السردية. إذ تقوم واقعة الموضوع بالاستناد إلى ما هو ثابت في الحكائي المتغير، فموضوعة الواقعة التاريخية بوصفها حاضنة للتاريخ، هي حكائية مجردة وغير متحولة الى سرد، ولكنها تشتغل بفعل الروي من خلال محاولة إخضاع الواقعة من فضاء التاريخ الى فضاء السرد بضخ مزايا سردية جديدة في أصل الحكاية التاريخية، ولعلها تفكك ثبات الحكاية التاريخية وتعيدها الى فضاء جديد على وفق التصورات والمرجعيات والأيدولوجيات والخلفيات الاجتماعية للراوي.

Historical narrative of the incident Read the novel (the sword and the word) to Imad Eddin Khalil

Assit. Prof. Ali Ahmed M. Al-Obayidy

Abstract:

References to the term Alsrdna subject) the subject (to the narrative .It is located the subject on the basis of what is fixed in Gaii variable ،Vemoduah incident history as the incubator of history ،is Gaúah abstract and non-mutant to the narrative ،but it is operated by McElroy by trying to subdue the incident of space history to the space narrative pump advantages of new narrative in the origin of the story historically ،perhaps the disintegration of the stability of the historical story and bring them back to a new space on the perceptions and in accordance with the terms of reference and the ideologies and social backgrounds of the narrator

* استاذ مساعد، قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

المقدمة:ـ

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد إخضاعات نص الواقعة التاريخية إلى المعطى السردي.

هدف البحث:

يهدف البحث الى قراءة (إخضاع نص الواقعة التاريخية ضمن المعطى السردي).

أهمية البحث:

يهتم البحث بتسليط الضوء على إخضاع نص الواقعة التاريخية ضمن المعطى السردي.

حدود البحث:

تحدد البحث بقراءة رواية السيف والكلمة لعماد الدين خليل

هيكلية البحث:

التمهيد:

- السردنة: مقاربة تأسيسية.
- علائقية الرواية والتاريخ.
- عماد الدين خليل والسيف والكلمة.

المبحث الأول: سردنة العتبة.

المبحث الثاني: سردنة الواقعة.

التمهيد: **السردنة**: **مقاربة تأسيسية**.

يحيل مصطلح السردنة الى إخضاع (الموضوع) الى السردية. إذ تقوم واقعة الموضوع بالاستناد إلى ما هو ثابت في الحكائي المتغير، فموضوعة الواقعة التاريخية بوصفها حاضنة للتاريخ، هي حكائية مجردة وغير متحولة الى سرد، ولكنها تشتغل بفعل الروي من خلال محاولة إخضاع الواقعة من فضاء التاريخ الى فضاء السرد بضخ مزايا سردية جديدة في أصل الحكاية التاريخية، ولعلها تفكك ثبات الحكاية التاريخية وتعيدها الى فضاء جديد على وفق التصورات والمرجعيات والأيدولوجيات والخلفيات الاجتماعية للراوي.

- **علائقية الرواية والتاريخ:**

التاريخ خط لا يقبل العودة إلى الوراء، ولعله يقوم على فعل السرد بما يحتويه من وصف للأحداث والشخصيات، فضلاً عما تشمله من أزمنة وأمكنة جرت فيها، ولعل فعل السرد يشتغل

هنا على العلائقية التي تربط بين المفهومين، والتي تثير بدورها سؤالاً يتعلق بأي منهما ينتج الآخر، أو أياً منهما الأسبق، بيد أن هذا التماثل بين أحداث العمل الأدبي والأحداث التاريخية، يُبقي التاريخ ضمن دائرة السرد، فالعلاقة بين الرواية والتاريخ (عمل) يقوم على التخييل، لكن جوهرها لا يمنعها من أن تتخذ من الواقع المتحقق مادة حكائية لها، إذ تقوم في مظهرها على المزاوجة بين التخييلي والمتحقق.[١] وبالخصوص المتحقق الماضوي. وهو ما سيطرح مفهوم الرواية ذاتها موضع سؤال كمحاولة للبحث عن صياغة جديدة لها، خاصة إذا استحضرنا كون إقحام الحدث المتحقق في الرواية يتم عبر نصوص تاريخية قديمة توظفها الرواية وفق علاقات التفاعل المختلفة التي تقيمها معها. كما إن المزاوجة بين المتحقق والمتخيل تقود الرواية لتلامس أسئلة أخرى تتحدد معها كمحاولة للوعي بذاتها، من قبيل السؤال حول الحقيقة الحكائية وحول علاقة الرواية بالواقع أو علاقتها بالتاريخ[٢] وهنا يطرح مجموعة تساؤلات منها: لماذا العودة إلى الماضي للتفاعل مع التاريخ؟ وكيف تتعامل معه الرواية لتحوله إلى مادة حكائية دالة في واقع تداولها؟ كما إن طبيعة التاريخ العلمية والمعرفية لا تصل به إلى درجة ينفصل فيها عن الرواية بمظهرها الإبداعي. فبين التاريخ والرواية هامش مشترك، فهما معا يعتمدان على الحكي، أي أنهما محكيان. فالرواية، حسب ميشيل بوتور، شكل من أشكال القصة[٣]، وتتأتى عن فعل التحبيك، كما أن"صياغة الحبكة تميل الى تغليب حدود تقلبات التاريخ على الدلالات المباينة للأحداث المروية"[٤] ويتدخل الجنسان، في هذا المستوى، كشكلين من أشكال الحكي يتعامل فيها المؤرخ والروائي مع الحدث الذي تصنعه شخصية ما في الزمان والمكان. إن طبيعة تعامل الرواية والتاريخ مع الحكي، والغاية التي يتوخيانها منه تختلف بينهما. فالرواية لها طابع تخييلي، وحتى في أقصى حالات واقعيتها التي تحكي فيها عن واقع متحقق فإن المظهر التخييلي الذي يميزها أجناسيا يطفو على السطح، ويفرضه الاعتقاد بوجود مقصدية أخرى عند المبدع تتجاوز مجرد الحكي عن ذلك الواقع. فهي تعتمد على نوع من التوهيم بالواقعية والتحقق لأن الروائي "يقدم لنا حوادث شبيهة بالحوادث اليومية، مسبغا عليها أكثر ما يستطيع من مظاهر الحقيقة مما قد يصل إلى الخداع[٥] ويقترن الخداع الذي يمارسه الروائي بالتوهيم الذي يوقع فيه المتلقي بتحقق الأحداث المحكية، حيث يستند إلى قواعد الإدراك العادي للأشياء في صياغته لقصته المتخيلة، والتي يستقدمها كقصة واقعية أقرب ما تكون من الحوادث اليومية. وما يميزها عن

هذه الأخيرة هو افتقارها إلى مرجعية خارج النص الروائي يمكن لنا أن نعود إليها لنتثبت من تحققها الفعلي[٦]، وحتى في الحالة التي تحكي فيها الرواية عن أحداث واقعية ومتحققة، فإن مجرد الإتيان بها في قالب روائي يفرض على المتلقي تعاملا خاصا معها. فالرواية لا تحكي تلك الأحداث لمجرد الإخبار بها أو الإعلان عن تحققها. فللنص الروائي دائما مقصدية، تتجاوز في الغالب المادة الحكائية، وتصوغ نفسها عند المتلقي في سؤال من قبيل: ما الدلالة التي تنتجها الرواية في حكيها لهذه الأحداث المتحققة؟ وتكمن الأهمية الأجناسية لهذه المقصدية في أن غيابها يجرد النص من مظهره الإبداعي وينتقل به من جنس الكتابة الروائية إلى جنس كتابة أخرى.[٧] ومن هنا تأتي خصوصية الرواية، فمحكيها يخصص دائما هامشا للمتخيل حتى في أقصى درجات واقعيته. وتقودنا هذه المقارنة الأولية بين التاريخ والرواية إلى الوقوف عند أهمية المقصدية المؤسسة لكل منهما كعامل حاسم في التمييز بينهما. فالنص التاريخي، يدون الوقائع ويعيد صياغتها نصياً، وينقلها من المستوى الواقعي الى المستوى الفني، ومن هنا يكون من حق الباحث أن يتعامل مع النص التاريخي، بوصفه نصاً سردياً، يمتلك قوانين وأسساً، تتحكم بإنتاجه وتلقيه" فالمؤرخ يحول الحدث الى مادة تاريخية، عندما يضعه في تسلسل زماني معين"[٨]. كما أن التجربة البشرية لا تتميز ولا تتوضح إلا بالسرد حين تصاغ في حبكة معينة، لذا فالسرد يقيم علاقة جدلية مع الحياة والتاريخ، لأن السرد ينتج داخل الحياة، كما أن الحياة تنتج داخل السرد، ويمكننا القول بأن القصص تروى، إلا أنها تعاش على نحو متخيل. إن أشكال التعامل مع الماضي في الكتابة الإبداعية تختلف، لكنها تحرص على أمر أساسي هو ربط الماضي بالحاضر، والذي يتم عبر علاقات دلالية بين الواقعين قد تكون مبنية على التماثل أو التناقض. وهنا لا بد من التأكيد على أن أيا من شكلي التعامل ينطوي على رؤية إيديولوجية للواقع الحاضر.

عماد الدين خليل أديباً ومؤرخاً

من مواليد مدينة (الموصل) (١٩٤١م) تتوزع موهبته في ميادين عديدة؛ منها: تجلية التخصص، فضلاً عن الأنواع الأدبية الأخرى سرداً ونظماً، فهو شاعر، وروائي، ومسرحي، وكاتب مقالة، وخاطرة، ومؤلف في القضايا المعاصرة التي ترتبط بالإسلام والمسلمين من الناحية الحضارية.

حصل على البكالوريوس (الليسانس) في الآداب بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية التربية/ جامعة بغداد عام ١٩٦٢ ، والماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جدا من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب/ جامعة بغداد عام ١٩٦٥، عن رسالته الموسومة بـــ (عماد الدين زنكي : ٤٨٧ ــ ٥٤١ هـــ / ١٠٩٤ ــ ١١٤٦ م)، والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين شمس في القاهرة عام ١٩٦٨، عن رسالته الموسومة (الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام : ٤٦٥ ــ ٨١٣ هـــ / ١٠٧٢ ــ ١٤١٠ م)

عمل مشرفاً على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام ١٩٦٨ عمل معيداً، فمدرّساً ، فأستاذاً مساعداً، في كلية آداب جامعة الموصل للأعوام ١٩٦٧-١٩٧٧ عمل باحثاً علمياً، ومديراً لقسم التراث، ومديراً لمكتبة المتحف الحضاري، في المؤسسة العامة للآثار والتراث ــ المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل للأعوام ١٩٧٧ ــ ١٩٨٧ حصل على الأستاذية عام ١٩٨٩، وعمل أستاذا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في اربيل للأعوام ١٩٨٧ ــ ١٩٩٢ ، ثم في كلية تربية جامعة الموصل ١٩٩٢ ــ ٢٠٠٠ م ، فكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ، بالإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠ ــ ٢٠٠٢ م ، فجامعة الزرقاء الأهلية ، الأردن ، عام ٢٠٠٣ م ، فكلية آداب جامعة الموصل ٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٥ م التي أعارت خدماته لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك الأردن، إذ لا يزال يعمل هناك، كما شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية من بينها :

(١) المؤتمر الأوّل للتعليم الجامعي ــ بغداد ــ العراق ــ ١٩٧١ .

(٢) المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية ــ الدوحة ــ قطر ــ ١٩٧٩ .

(٣) المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) ــ عمان ــ الأردن ــ ١٩٨٠.

(٤) الندوة العالمية الثالثة للآثار والتراث ــ بغداد ــ العراق ــ ١٩٨١ .

(٥) ندوة حوار حول الأدب الإسلامي ــ المدينة المنورة ــ السعودية ــ ١٩٨٢ .

(٦) ندوة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية ــ الزقازيق ــ مصر ــ ١٩٨٩ .

(٧) ندوة المنهاجية وإسلامية المعرفة ، أكسفورد ــ المملكة المتحدة ــ ١٩٩٠ .

(٨) الأسبوع الثقافي للمعهد العالمي وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ، عمان ــ الأردن ــ

١٩٩٢ .

(٩) المؤتمر العالمي الثاني حول سعيد النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، اسطنبول ــ تركيا ــ ١٩٩٢ .

(١٠) ندوة مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر ــ فاس ــ المغرب ــ ١٩٩٣ .

(١١) المؤتمر العالمي الثالث حول فكر سعيد النورسي ــ اسطنبول ــ تركيا ــ ١٩٩٥ .

(١٢) المؤتمر الثاني لجامعة الزرقاء الأهلية حول الأدب الإسلامي: الواقع والطموح ــ عمان ــ الأردن ــ ١٩٩٩ .

(١٣) الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي ــ أغادير ــ المغرب ــ ٢٠٠١ م.

(١٤) الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي ــ فاس ــ الغرب ــ ٢٠٠٤ م.

المبحث الأول: سردنة العتبة

(التاريخ كله معاصر)[٩] عبارة للفيلسوف الإيطالي بنيد بيتو كرتوشه يفتتح بها عماد الدين خليل عتبة روايته (السيف والكلمة)

وتنتهي عتبة الرواية بعبارة "بهذه الروح يكتب عماد الدين خليل هذه الرواية، التي في كل أجواءها تستمد من التاريخ ما يعين على قراءة حال العراق اليوم، الذي يتعرض مرة أخرى للغزو ولحب فتنة تهدد بأبشع الخراب"(١٠).

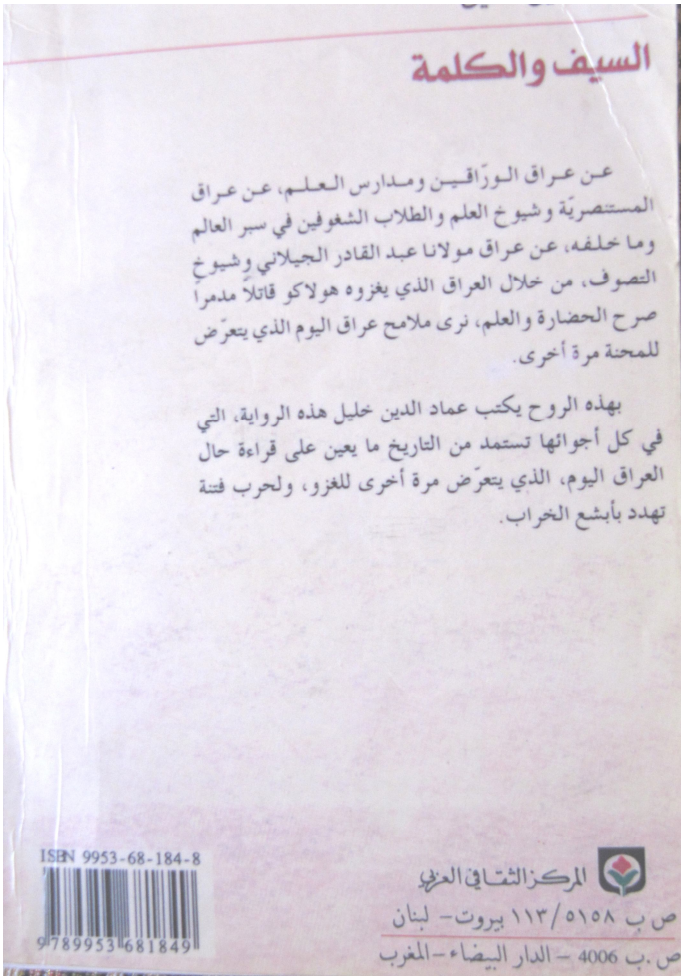

لقد سجلت الرواية من خلال عتبتها النصية سبقاً حقيقياً في التعبير عن محنة احتلال العراق على يد الغزاة الأمريكيين وحلفائهم في الغرب الاستعماري عام ٢٠٠٣م، من خلال استعادة ما جرى في الغزو المغولي الذي أسقط الخلافة الإسلامية في بغداد عام ٦٥٦هـ، على الرغم من أن الكاتب لم يشر بكلمة واحدة إلى الغزو الراهن، إلا أن كل سطر في الرواية يعلن عنه ويشير إليه، "**وكنت اقول في نفسي: اذا قدّر لهذه السلالة أن تنتصر نصراً نهائياً على عالم الاسلام، لا قدر الله، فمعنى ذلك أن البشرية مقبلة على انتكاسة يصعب تصورها حتى على ذوي العقول**

والالباب، وانه ربما سيشهد التاريخ سلالات اخرى ستمارس الدور نفسه وترجع بالإنسان عبر قنوات الدم والتحجر، والرغبة الآسرة في السيطرة والفناء، قروناً موغلة الى الوراء"[١١].

إن العنوان (السيف والكلمة)، والاقتباس الذي وضعه في مفتتح السرد للناقد الإيطالي (كروتشه): (التاريخ كله تاريخ معاصر)، يؤكدان على حضور الغزو الوحشي الجديد بأبعاده التي عرفها أهل بغداد في القرن السابع الهجري، مع الفارق في التعامل والأساليب المستخدمة.. فالسيف والكلمة، ثنائية توافقية تجمع بين ضدين (السيف) الذي يحيل الى القتل، و(الكلمة) التي تحيل الى التعليم، وبما أن الرواية برمتها قد تناولت الفترة الذهبية من العصر الإسلامي الذي انتشر به الورق والوراقين،(السيف للغزاة المغول، والكلمة للوراقين والمتعلمين في المدرسة المستنصرية) وهذه دعوة من الكاتب بتقديم مفردة السيف على الكلمة، فالأولى تحيل الى القوة، والتي تعني أن الحق المغتصب لايعود إلا بها، أما الثانية (الكلمة) التي تحيل الى التعليم كما ذكرنا ، فهي تحيل في سياق الخطاب أيضاً الى الصدقة ومحاسن الأخلاق، وهذا ما يدعوا إليه ديننا الحنيف بقوله (الكلمة الطيبة صدقة) فحقق عماد الدين خليل من خلال مفردتين تحمل معان مختلفة أو ضدية عن بعضهما، توافقاً خطابياً في المفهوم، ومجيء الرواية في السياق التاريخي كان أكثر نجاعة وتوفيقاً في معالجة الواقع الراهن، بل أكثر تأثيراً أيضاً! القوة والدعاية، لقد اختار الكاتب ثنائية (السيف والكلمة) مرتكزاً لإنشائه الروائي، انطلاقاً من أهميتها، بوصفها مقابلاً لما جرى في عصرنا من ثنائية (القوة/ والدعاية).

وتدور أحداث الرواية موزعة بين أبطالها الأربعة وهم (الوليد وحنان وعبد العزيز وسليمان) وقد قسم عماد الدين خليل روايته على هذه الأسماء الأربعة التي تناوبت عملية السرد ، وكانت تلك الأسماء بمثابة عتبات لعتبة الرواية (السيف والكلمة)، فقد جعلها تتحدث بضمير المتكلم والفعل المضارع، في إشارة لا تخفى على مضمون الرواية الذي يصف ما يجري من وقائع تبدأ من نهاية الرواية الدامية، حيث قُتل (سليمان) والد بطل الرواية (الوليد) بقطع رأسه من خلال وشاية من خطيب أخته (عبد العزيز) الذي انحاز إلى التتار الغزاة، وتماهى معهم في خيانة صريحة، وهذا ماقابله في التاريخ شخصية(ابن العلقمي) فقاموا باقتحام منزل (حنان) الخطيبة، وذبحوا والدها (سليمان)، وراحوا يبحثون عن شقيقها (الوليد) الذي ركب فرسه وفرّ من قبضتهم متجهاً إلى فلسطين،[١٢] وقد أخذ يحكي عن طريق الاسترجاع أو الارتداد الزمني، الأحداث منذ بدايتها، مصوّراً المكان والأصدقاء والناس والهول الذي صنعه المغول الغزاة حين

دخلوا بغداد بعد أن ذبحوا الخليفة، والمدافعين عنها، والناس في أرجائها المختلفة. تبدو أحداث الرواية مرتبطة بأمرين، الأول محاولة عبد العزيز خطبة (حنان) من خلال زياراته المتكررة لوالدها (سليمان) صاحب المكتبة أو (الورّاق) بلغة تلك الأيام، وكانت محلات الورّاقين ملتقى لكل المعنيّين بهموم العلم والمعرفة، وهم بحمد الله كثيرون، والأمر الآخر يرتبط بالأول، وهو الخوف من المجهول، أو الحديث عن غزو المغول وتوجههم نحو بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية!

إن الرواية من عنوانها..حكاية حرب السيف والكلمة! الوحشية والإنسانية.. البربرية والحضارة، رواية .. يعيش أبطالها في بغداد منتصف القرن الثالث عشر قُبيل سقوطها على يد المغول، وبُعيد الزحف المغولي على أحياءها ليتركها خراباً تفزعُ النفس من تفاصيله الموغلة في الوحشية، كما أنها تحكي لنا فترة الارتقاء العلمي والمعرفي من جهة.. إذْ كانت بغداد حينها منارة للعلم وأفقاً لا حدود له للبحث والمطالعة والاستزادة في شتى أنواع العلوم من شريعة وفلسفة ورياضيات وفلك. والرواية تتحدّث عن أحد نسّـــاخ الكتب في زمن ما قبل سقوط بغداد ومعاصرته لأحداث السّـــقوط، والرواية فيها الكثير من العبر والدروس لمن يقرأها بإمعان وتفكر.

المبحث الثاني: سردنة الواقعة

يميّز البعض بين التاريخ والرواية على أساس أن التاريخ ضرب من المحكيات ذات النزوع إلى الحقيقة، فيما السرد محكي تخييلي. ويترتب على هذا التمييز تمييز آخر بين واقعية التاريخ ولا واقعية التخييل الروائي. و "في النظرية التقليدية للأدب فإن الرواية والتاريخ نوعان مختلفان بصورة كلية، ويحتكمان إلى قدرات عقلية مختلفة لا تجتمع معاً"(١٣). وهو تمييز قديم ويعود إلى (شعرية) أرسطو التي ميّزت بين الشعر والتاريخ. إلا أن هذا التمييز لا ينفي المشتركات التي تجمع بين الرواية والتاريخ سواء على مستوى الشكل أم على مستوى الوظيفة. فهما يشتركان في شكل السرد أولاً، وفي العمق الزمني للتجربة البشرية ثانياً، وذلك من حيث إن التاريخ والرواية يسعيان إلى توضيح التجربة البشرية من خلال وضعها في صيغة سردية بحيث تظهر الأحداث ضمن مسار زمني مترابط وذي دلالة. أي مجموع التنسيقات والترتيبات التي تتحوّل من خلالها الأحداث المتناثرة والوقائع المتنافرة إلى حكاية منسجمة وذات معنى. فالتاريخ يدرك أو يتشكّل

بوصفه حكاية تتألف من أحداث وشخصيات ومواقف. وهذه الحكاية، أو هذا الترتيب والانتقاء المقصودين للوقائع ليس موجوداً في الأحداث الواقعية، وعلى المؤرخ أن يصوغ حبكة هذه الوقائع، كما أن عليه أن يسردن تاريخه بصياغته بطريقة معينة وبترتيب محدد بأن يضع حدثاً ما بوصفه سبباً وآخر بوصفه أثراً، وبأن ينتقي وقائع، ويغيّب أخرى. بمعنى آخر عليه أن يضع الأحداث المتناثرة والفاقدة للترابط في مسار حكائي معين بحيث تكون ذات حبكة تنطوي على الترابط والمعنى معاً.(١٤) وهذا مايقوم به الروائي أيضاً. من هذا المنطلق سعى عماد الدين خليل وهو يجمع بين هاتين الصفتين (المؤرخ والروائي) فعمله كمؤرخ لا يختلف عن عمله الروائي الذي يشتبك مع التاريخ، فسعى أمام مجموعة من الأحداث والوقائع والمواقف المتناثر والفاقدة للمعنى بحد ذاتها، وحاول أن يمنحها المعنى من خلال تحبيك هذه الأحداث والوقائع التي مرّت بها بغداد إبان الغزو المغولي لها، ووضعها ضمن مسار حكائي معين؛ وبهذه الطريقة اكتسب الحدث قيمته ودلالته من خلال وضعه بجوار أحداث ومواقف أخرى وفي مسار حكائي محدد، وهذا ماأطلقنا عليه بسردنة الوقائع التاريخية. ثمّ إن مايميّز تجربة (السيف والكلمة) ويمنحها فرادتها الخاصة هو اشتباكها سردياً بالتاريخ الإسلامي للأحداث التي عصفت ببغداد أثناء الاحتلال المغولي لها. تحتفى رواية (السيف والكلمة) من حيث هي امتداد زمني متواصل دون انقطاع، قادر على الصمود في وجه التحولات التي أدّت إلى تحولات مهمة في تصورنا لمفاهيم الهوية والأمة والأصالة التي واجهت الإحتلال." **قاومنا بضعة عشر يوماً بلياليها.. قتلنا أسراباً من الجراد المنهمر على اسوار بغداد بغير حساب..**"(١٥).

يتأطر المتن الحكائي في هذا العمل الروائي تاريخياً ضمن القرن السابع الهجري، وهي مرحلة تميزت بزحف المغول الى بغداد، ومن ثمّ احتلالها، حيث تكتب الرواية واقعاً عربياً إسلامياً مريضاً وتقرأ أسباب تداعيه وانهياره. " **يوم الهول كان مجيء المغول.. ورغم كل حساباتنا.. رغم كل محاولاتنا للرصد.. ماكنا نتوقع أن يكونوا بهذا الحجم الكبير.. ربع مليون سيف يتلمظ بشهية مخفية لشرب دم البغداديين.. وكأن عطش ستة قرون ونصف من عمر الخلافة يتمركز في لحظة واحدة، ويتحفز للإرتواء**"(١٦).

إن الواقعة التاريخية المتحققة ونسختها التاريخية الإخبارية، وما يرافقهما من أخيلة وحاجات اجتماعية ونفسية وسياسية خفية، تتبادلان دائمًا موقع المرجعية. لكن الأولى، التي تم

حدوثها في الواقع، لا تملك المقدرة على الانتقال إلى الوعي التاريخي إلا من طريق الذاكرة السردية المحكية. هكذا يتحدث عماد الدين خليل عن روايته السيف والكلمة ، وتأطيرها تاريخياً بقوله:" لقد تعامل "المؤرخ" مع الغزو المغولي من الخارج، وهو لا يتابع الدقائق والتفاصيل، ولا يحاول النفاذ إلى العمق الإنساني للواقعة التاريخية، وإنما يكتفي برسم الهياكل الخارجية لها، في حين نحن بحاجة إلى رؤية الفنان لكي نسبر انعكاسات الحدث على النفس البشرية في أزقة بغداد ودُورها وأحيائها ومساجدها وأسواقها وملاعبها ومكتباتها.. لقد حاولت الرواية أن تقدم انطباعاً مأساوياً للاجتياح المغولي لبغداد، وأن تومض –من وراء الحزن والانكسار– بسبل النهوض والخلاص"[١٧]. وكان من التحديات التي واجهتها الرواية ، بصورة عامة، القدرة على الاحتفاظ بالإثارة و التشويق و الإمساك بإنتباه القارئ على امتداد مساحة الفعل السردي. ولقد تمكن الكاتب من القيام بذلك على المستوى الفني من خلال اهتمامه بالتفاصيل و برسم ملامح الحدث السردي بكثير من العناية و التركيز على الجوانب التي أغفلت الإشارة إليها كتب التراث و التأريخ العربي الإسلامي. من خلال إن إبراز تفاصيل تتعلق بالأسواق والحارات البغدادية بأحيائها ودروبها وجسورها وأسواقها ومدارسها وملاعبها وحوانيتها، وقد ساعدت جميعها على بناء متخيل للحدث في ذهن القارئ بشفافية كبيرة.

الخاتمة:

- حاولت الرواية توظيف الغزو المغولي لبغداد من خلال تنامي الحدث عبر أربعة أصوات، وبضمائر متغايرة يغيب فيها الراوي تماماً معظم الأحيان.
- كسرت الرواية حاجز الزمن وتسلسله الرتيب، بما يماثل سيرورة الزمن الموضوعي في شكل تتابع أفقي، وهذا لم يمنع من رجوع السرد إلى الماضي، فهناك انقطاعات عديدة في سيرورة السرد المستقيم، وإسقاطه على الحاضر.
- حقق عماد الدين خليل من خلال مفردتين تحمل معان مختلفة أو ضدية عن بعضهما، توافقاً خطابياً في المفهوم، ومجيء الرواية في السياق التاريخي كان أكثر نجاعة وتوفيقاً في معالجة الواقع الراهن، بل أكثر تأثيراً أيضاً! القوة والدعاية، لقد اختار الكاتب ثنائية (السيف والكلمة) مرتكزاً لإنشائه الروائي، انطلاقاً من أهميتها، بوصفها مقابلاً لما جرى في عصرنا من ثنائية (القوة/ والدعاية).

قسم عماد الدين خليل روايته على أسماء أربعة شخصيات تناوبت عملية السرد، وكانت تلك الأسماء بمثابة عتبات لعتبة الرواية (السيف والكلمة)، فقد جعلها تتحدث بضمير المتكلم والفعل المضارع، في إشارة لا تخفى على مضمون الرواية الذي يصف ما يجري من وقائع تبدأ من نهاية الرواية الدامية، وجاء الرجوع إلى الماضي وفق نسق مزدوج، فهو إما في شكل ذكريات يستعرضها بعض الأبطال، أو يتولون استحضارها لتفسير سلوكهم.

اكتسب الحدث قيمته ودلالته من خلال وضعه بجوار أحداث ومواقف أخرى وفي مسار حكائي محدد، وهذا ما أطلقنا عليه بسردنة الوقائع التاريخية. ثمّ إن ما يميّز تجربة (السيف والكلمة) ويمنحها فرادتها الخاصة هو اشتباكها سردياً بالتاريخ الإسلامي للأحداث التي عصفت ببغداد أثناء الاحتلال المغولي لها.

هوامش البحث ومراجعه:

١- إشكالية الخطاب التاريخي العربي المعاصر: مفيد الزيدي. مجلة البحرين الثقافية. ع٢١. جويلية ١٩٩٩. ص ٣٣.

٢- الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث: قاسم عبده قاسم، إبراهيم أحمد الهواري- دار المعارف – مصر ١٩٧٩ ص٨.

٣- بحوث في الرواية الجديدة: ميشيل بوتور، ترجمة أنطونيوس فريد، ط: ٣، نشر عويدات. بيروت. لبنان، ١٩٨٦، ص: ٥.

٤- الذاكرة، التاريخ، النسيان: بول ريكور، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت،٢٠٠٩، ص ٣٧٩ .

٥- الرواية والتاريخ: محمد القاضي (دراسات في تخييل المرجعي) دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٨ ص٢٣-٢٤

٦- الرواية وتأويل التاريخ(نظرية الرواية والرواية العربية): فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء،٢٠٠٤ ص ١٣٣ .

٧- الرواية التاريخية وتمثل الواقع: عبد اللطيف محفوظ، مجلة الموقف الأدبي، العدد-٤٣٨لسنة ٢٠٠٧ ص ١٧٦ .

٨- فضاء النص الروائي: محمد عزام، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٧٨.

٩- السيف والكلمة(رواية): عماد الدين خليل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط١، ٢٠٠٧،ص ٤ .

١٠- السيف والكلمة (رواية): عماد الدين خليل، مصدر سابق/كلمة الناشر.

١١- م . ن :ص ١٧٢.

١٢- م . ن :ص ٢٩٢ .

١٣- من النص الى الفعل: بول ريكور، ترجمة: محمد برادة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الجزائر،ط١،٢٠٠٨، ص ٨.

١٤- الرواية والتاريخ(السرد والمرجع): سعيد يقطين، الملتقى الروائي الثالث الذي عقده المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة خلال الفترة، ٢٤ فبراير و١ مارس ٢٠٠٥.

١٥- السيف والكلمة (رواية): ص١٠٨ .

١٦- م . ن :ص ١٠٩.

١٧- غائية الوجود في الأدب الإسلامي: عماد الدين خليل، muntada.islamtoday.net/t70863.html.

Mosuli Studies Magazine

Seasonal and academic Magazine Issued by

Mosul Studies Centre

Concerned with

Mosuli Academic Researches in humanities

- **Lect. Dr. Maha Saeed Hameed: Papermakers in Mosul during the abbasid Ages from the forth until the seventh century:1-19.**
- **Lect. Dr. Mohamad Nazar Al-Dabbagh : The Mosuli Binu Al-Rawad and Their Political Role in Azerbaijan during the Two Centuries(4th-5th / 10th-11th A.H.): 21-36.**
- **Lect. Dr. Omar A. Saied: Hamdania Emirate in Mosul and its role to con Front Buyhids (334-380 AH / 945-990 AD): 37-60 .**
- **Assit. Prof.Dr. ouruba Jameel Mahmood Othman: The Common Beliefs In Mosul and Baghdad at the late of the Ottoman Era until 1918(A Comparative Study):61-82.**
- **lC.Dr, Ghassan walid aljawadi: Movement of the prices in Mosul in the Ottoman era 1516- 1918: 83-101.**
- **Assit. Prof. Ali Ahmed M. Al-Obayidy : Historical narrative of the incident Read the novel (the sword and the word) to Imad Eddin Khalil: 103-115.**

Conditions of the Publication

1-The magazine is concerned with publishing the academic scientific researches which focus on Mosuli affairs in its different aspects.

2-The research must be done in according to the Conditions of academic scientific research. Revenue sources, references and document in the margins, with attention to language and print.

3-The research must be unpublished or present to publication in another magazine and the editing staff unobligated to back the researchs to its Owners in case they are unaccepted for publication.

4-The printed pages of the research shouldn't be more than (20) in three copies loaded on disc (CD).

5-The research is presented to experts who determine its appropriateness to be published or not.

6-The magazine is issued periodically. The researcher has the right to obtain a copy of the published research.

ISSN 1815-8854
No. (46)
Year (13)
2017 A.D/ 1439 A.H

Letters addressed
to Editor- in- Chief

Address
Mosul Studies Centre
University of Mosul
P.O. Box 11348
Tel. 812246

E-Mail : mosul.studies@gmail.com

The Published Researches express the researchers' opinion and don't necessarily reflect the opinion of the Magazine

Researches Arranged In Methodical Way

Printed by
Computer Unit In Mosul Studies Centre

The deposit number
In the House of Books and Documents in Baghdad is (727)
In 2001

Mosuli Studies Magazine
Seasonal and academic Magazine Issued by Mosul Studies Centre

Concerned with Mosuli academic researches in humanities

Editing-in-Chief
Prof . Dr. Thanoon. Y. Al.Taee

Editing Manager

- **Prof. Dr. Husain D. Hamood / Department of Ancient Civilizations /Archeology College.**
- **Assist. Prof. Batoul. H. al-bustani / Department of Arabic Language / College of Education**
- **Asist. Prof. Dr. Muhamad S.Rashid al-hafidh/ Department of Arabic Language / College of Basic Education**
- **Asist. Prof. Dr. Maysoon. Alabayachi / Department of Historical And Social Studies/ Mosul Studies Center.**
- **Asist Prof. Dr. Oruba J. Mahmud/ Department of Historical And Social Studies/ Mosul Studies Center.**
- **Asist Prof. 5Dr. Ali A. al Obaidee/Editing Secretary/ Department of Literature And Documentary Studies /Mosul Studies Center.**

Consultative Board

- **Prof.Dr.Emad Al-Deen-Khaleel/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof. Dr. Ahmed K. Aljumaa/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof.Dr.Hashem Y. Al Malah/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof.Dr. Nada F. Zaydan al-Abayachi, Department of psychology, College of Humanities.**
- **Prof.Dr. Taha Khudeir Ubaid , Department of History , College of Education for Humanities, University of Mosul.**
- **Prof.Dr. Khashman H. Ali, Department of psychology, College of Basic Education.**
- **Prof.Dr. Nahla S. Ahmad, Department of History, College of Humanities.**